يأجوج ومأجوج

في عصر الظهور

الشيخ توفيق حسن علوية

دار الصفوة

يأجوج ومأجوج
في
عصر الظهور

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

لبنان - بيروت - بئر العبد خلف محطة دياب

تلفاكس 42 49 27 (9611+) - 00 29 55 (9611+)

جوال: 49 01 80 (9613+)

ص.ب: 25/91 بيروت - لبنان

E-mail: dar_asafwa@hotmail.com

يأجوج ومأجوج

في

عصر الظهور

الشيخ توفيق حسن علوية

دار الصفوة
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الإله الواحد الأحد المعين، الذي عليه توكلي وإياه أستعين، والذي لا تخفى عليه ذرة في العالمين.

والصلاة والسلام على المحمود الأحمد الأمين، ورسول رب العالمين، والنبي العظيم المكين الأمين، محمد خير الورى أجمعين، وعلى آله الأطهرين المعصومين الميامين، وصحبه الأخيار الذين لم يرتدوا عن دين الله المتين، ولازموا ولاية أمير المؤمنين والحسن والحسين والتسعة المعصومين عليهم السلام أجمعين.

إهداء

إلى الذي أنقذنا من ظلمات الضلالة وأخذ بأيدينا إلى حيث نور الهداية الرسول الأعظم محمد ﷺ . . .

إلى التي أضاء نورها الوجود، وتشرف بذكرها الخلود، سيدتي ومولاتي المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام . . .

إلى الذي تمحض الحق به، وتحيرت العقول بوصفه، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . . .

إلى الذي لو كان العقل رجلاً لكان هو، عظيم المهابة والسؤدد سيدي ومولاي الإمام الحسن بن علي عليه السلام . . .

إلى الذي حرّك ساكن الحياة، وهزّ مصرعه الكائنات، سيدي ومولاي الإمام الحسين عليه السلام . . .

إلى صاحب الدعوات المستجابات سيدي ومولاي الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام . . .

إلى واسع العلم، ورائد الحكمة والفهم سيدي ومولاي الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام . . .

إلى صادق القول، وعضد العدل، ومحارب الظلم سيدي ومولاي الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام . . .

إلى كاظم الغيظ، وصاحب الهدايا والعطايا، ومظلوم الأمة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام . . .

إلى غريب الغرباء، وشهيد الأرض والسماء الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام . . .

إلى جواد الأمة، وسليل الأئمة الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام . . .

إلى هادي الأمة، وصاحب أخطر مهمة، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام . . .

إلى المبشر بخلاص الأمة، وصاحب البشارة العظمى، الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام . . .

إلى زاد القلوب التواقة، ولهفة الصدور المشتاقة، سليل الأئمة، ومخلص الأمة الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف . . .

إليهم جميعاً وإلى روح والدتي الطاهرة الحاجة نزيهة توفيق علوية، وإلى والدي الذي رباني على حب محمد وآل محمد وولايتهم، وإلى أنسابي وأسبابي سيما زوجتي الموقرة، وإلى جيراني وإخواني في الله عزَّ وجل أهدي هذا السفر راجياً من الله جل شأنه وتعالت قدرته القبول والشفاعة.

المؤلف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

«يأجوج ومأجوج في عصر الظهور عنوان اخترناه لهذا البحث الشيّق لأنه يتحدث عن حقيقة قرآنية لا يتسنى إنكارها البتة.

والبحث عن حقيقة يأجوج ومأجوج وإن كان حفراً في الماضي البعيد جداً، إلا أن لمسات الحاضر أو المستقبل لا تكاد تبدو خافية، فعبارة «فإذا جاء وعد ربي» القرآنية خير شاهد على ما نقول.

وقد تسأل لماذا يأجوج ومأجوج؟؟ والجواب: إن ذكرهما في القرآن الكريم يحفز فينا روح التدبر من جهة، وإن تناثر البحث عنهما في كتب التفاسير والبحوث العلمية سيما العقائدية منها يشجعنا على إفرادهما ببحث مستقل من جهة ثانية، وإن عدم تكوين صورة علمية موحدة عنهما يبعث فينا الحماسة لتحقيق ذلك وإن على سبيل الإحتمال أو الترجيح من جهة ثالثة، وإنّ تكرار وتشابه التصنيفات والتآليف في الآونة الآخيرة يرغبنا في تصنيف كتابٍ لا سابقة له إلى حد ما من جهة رابعة.

وقد تسأل ما هو الرابط بين يأجوج ومأجوج وبين عصر الظهور؟؟

والجواب: نحن قلنا في عصر الظهور، فقد يكون خروج يأجوج

ومأجوج قد تحقق فعلاً قبل ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؛ فهذا مما لا ينافي كون حصول ذلك في عصر الظهور، لأنه في علم الله عز وجل يطلق على ما قبل الظهور سيما ببرهة قصيرة عصر الظهور، وقد يكون خروج يأجوج ومأجوج قبل ظهور المهدي عليه السلام بوقت قريب فكذا هذا العنوان لا ينافيه، وقد يكون خروج يأجوج ومأجوج بعد قتل الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وبعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، فكذا هذا مما لا ينافي أن يكون خروج يأجوج ومأجوج في عصر الظهور، على أن هذا العنوان أعني «يأجوج ومأجوج في عصر الظهور» متبنى من قبلنا على نحو الترجيح، لأنه موافق للتحقيق من جهة، وغير منافٍ للآراء الأخرى من جهة أخرى.

وإنني إذ أشكر الله عزَّ وجل على ما أنعم علي إذ وفقني لإتمام هذا البحث، أرجو من القرّاء الكرام أن لا يكتفوا بهذا الكتاب وأتمنى عليهم البحث أكثر، كما أشير إلى ضرورة التمعن والتدقيق بمحتوى هذا الكتاب لأن القراءة العابرة لا تكفي.

أسأل الله عزَّ وجل أن يجعل هذا السفر ضمن صحيفة أعمالي المقبولة إنه نعم المتقبل ونعم المجيب.

توفيق حسن علوية العاملي

الجنوب ـ مارون الراس في ٨/ ١/ ٢٠٠٧م

الموافق لعيد الغدير الأغرّ

مدخل

هناك جدلية قائمة حول جدوى ربط القديم بالحاضر، وربطهما بالمستقبل، وذلك أن استحضار الماضي البعيد والقريب في واقعنا الحاضر، وفي آفاق مستقبلنا، هو أمر مذموم ومعيب عند الكثير ممن يقول لك بلسان عصري فصيح: «نحن أبناء اليوم وأحلام الغد».

وكما أن استحضار الماضي أمر معيب عند البعض، فإن الاهتمام بالمستقبل البعيد أيضاً من الأمور المعيبة عند هؤلاء لماذا؟؟ لأنهم يقولون لك بلسان عصري فصيح أيضاً: «نحن في الآن ودعنا من غد».

وهكذا تستمر هذه الجدلية في كل ساحة من ساحات الاحتراب الفكري، وأمام أي استحقاق من استحقاقات الحياة. ولكن الحقيقة تأبى إلا أن يشع نورها فها هي تصرخ وتقول: إن الماضي المتحرك لا الجاف له دخالة في صياغة الحاضر والمستقبل وكيف لا، والوجود برمته يسير وفق المخطط الإلهي العام، والبشرية كما أن لها نهاية فإن لها بداية، ولولا البداية لما كانت النهاية.

ومن القضايا التي لماضيها ربط بالمستقبل الآتي قضية النبي عيسى عليه السلام، وقضية المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، وأيضاً قضية «يأجوج ومأجوج» حيث أن القرآن الكريم أكّد حقيقة وجودهما في

الماضي، كما أنه حتم حقيقة خروجهما في يوم من الأيام، والسؤال هو: من هما يأجوج ومأجوج؟؟ هل هما بشر؟؟ هل هما غير بشر؟؟ هل هما تعبير حقيقي أم أنهما مجازيان؟؟ هل هما في الأرض أم في السماء؟؟ هل خرجا أم لم يخرجا؟؟ هل سدهما موجود أم مفقود؟؟ هل هو سد حقيقي أم مجازي؟؟ هل هما من علامات ظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف أم أنهما خرجا قبل خروجه عجل الله فرجه؟؟ هل هما من أشراط الساعة أم لا؟؟ أسئلة كثيرة، وجمة غفيرة، واجوبتها ماثلة في الصفحات التالية فتابع معنا بتمعن وتدقيق ولا تثنيك الملالة عن البحث والمثابرة.

يأجوج ومأجوج في اللغة

اختلف حول «يأجوج ومأجوج» من حيث اللغة، والخلاف هاهنا مرده إلى أمرين هما:

الأول: اللفظان أي «يأجوج ومأجوج» هما لفظان عربيان، فإذا كانا كذلك عندها تهون المسألة ونبحث حينئذٍ عن الاشتقاق اللغوي.

الثاني: اللفظان هما أعجميان، ولا دخل لهما بالعربية وحينئذٍ فلا مجال للبحث عن الإشتقاق اللغوي كما لا يخفى.

وقبل حسم الخيار حول تحديد المعنى اللغوي للفظي «يأجوج ومأجوج» لا بد من الوقوف عند نقطتين هما:

النقطة الأولى: أنهما إسمان، أي أن يأجوج ومأجوج من الأسماء، فإن رجعا إلى اللغة العربية وبالتالي كان لهما اشتقاق لغوي فإنهما لن يخرجا عن دائرة الإسمية، وإن كانا من الأعجمية فإنهما أيضاً من الأسماء.

النقطة الثانية: الرجوع إلى معاجم اللغة العربية لتحديد المراد، فقد أرجع الفيومي يأجوج ومأجوج إلى اللغة العربية مستخدماً عبارة قيل فقال: «وقيل مشتقان من أجّت النار فالهمز فيهما أصل ووزنهما يفعول ومفعول وعلى هذا

ترك الهمز تخفيف»[1] وفي تفسيره لمعنى أجّت النار قال: (أجّت) النار (توّج) بالضم (أجيجاً) توقدت»[2].

ولكنه أيضاً استخدم عبارة قيل في إرجاعه يأجوج ومأجوج إلى الأعجمية حيث قال: و«قيل إسمان أعجميان»[3].

ولكننا نستطيع القول بأن وضعه ليأجوج ومأجوج تحت عنوان «ماء أجاج» يمكن أن يستشف منه ترجيحه كونهما عربيان ولهما اشتقاق لغوي من أجّ يُؤج[4].

وفي ذلك قال البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل «وقيل إنهما إسمان أعجميان بدلالة منع الصرف»[5]، بينما نفى آخر أعجميتهما لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾[6]، ومن هنا أرجع النافي لأعجمية يأجوج ومأجوج أصل الكلمتين إلى اللغة العربية قائلاً: «فالإسم مشتق من أجّ أي أسرع والآخر مشتق من مجّ ومعناه تحدر أو إنسلّ فالأج والمج واحد في الفعل مختلف في الصورة الأول يُظهر الإسراع والآخر ينسل خفية بإسراع فهو كالفارق تماماً بين الهمز واللمز»[7]، واستدل هذا القائل بما ورد في القاموس حيث قال في القاموس: «أج إذا أسرع وأصله الهمز»[8].

نعم يمكن أن يستدل لقول هذا القائل بتوافق المعنى اللغوي أي

---

(١) المصباح المنير، ص٥.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.
(٥) الطور المهدوي، ٥١.
(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٤.
(٧) الطور المهدوي، ٥٢.
(٨) م.ن.

الإنسلال بسرعة مع فعل يأجوج ومأجوج الذي تحدث عنه القرآن الكريم صراحة حيث قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1] فالتعبير بالإنسلال يتوافق مع تفسير المعنى اللغوي لـ مجّ بمعنى تحدر وانسل، وليعلم بأن صاحب مجمع البيان ذكر كلاماً موافقاً لهذا القائل في إرجاع عبارة يأجوج إلى «أجّ» على وزن يفعول على نحو يربوع ولكن بقيد كون اللفظ عربياً، ولكن الهمزة في يأجوج إن لم تكن على التخفيف. فإن لفظ يأجوج فاعول من «يججّ»، وهذا في يأجوج، وأما مأجوج فهي عند من همز مفعول من «أجّ» فتصير يأجوج ومأجوج من أصل واحد، أما عند من لم يهمز فتصير فاعول من «مجّ» فالكلمات على هذا من أصلين وليسا من أصل واحد، أي «أجّ ومجّ».

قال في مجمع البيان: «قال أبو علي: يأجوج إن جعلته عربياً فهو يفعول من أجّ، نحو يربوع، ومن لم يهمز أمكن أن يكون خفف الهمزة، فقلبها ألفاً، فهو على قوله يفعول أيضاً، وإن كانت الألف في (يأجوج) ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمة من هذا الأصل، كانت الهمزة فيها كمن قال سأق ـ لغة في الساق ـ، ونحو ذلك مما جاء مهموزاً. ولم يتبع أن يهمز، ويكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث، والتعريف، كأنه اسم القبيلة كمجوس. وأما مأجوج فمن همز فمفعول من أج فالكلمتان على هذا من أصل واحد، ومن لم يهمز فإنه فاعول من مجّ فالكلمتان على هذا من أصلين، وليسا من أصل واحد، ويكون ترك الصرف فيه أيضاً للتعريفِ والتأنيث[2].

ولكن هذه التمثيلات إن جعلتهما ـ أي يأجوج ومأجوج من الأعجمية؛

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

(٢) ج١٦، مج٦، ٣٨٣.

كلها لا تنفع ولا تصح فيهما لماذا؟؟ لأن امتناعهما عن الصرف حينئذٍ يكون للعجمة والتعريف لا لأجل التأنيث تبعاً لمن قال بعربيتهما، فقد قال في مجمع البيان: «فإن جعلتهما من العجمية فهذه التمثيلات ـ التي تقدمت ـ لا تصح فيهما، وإنما امتنعا عن الصرف للعجمة والتعريف»[1].

وعلى أيٍ فإن أكثر معاجم اللغة أرجعت يأجوج ومأجوج إلى «أجّ» إذا صح فيهما الاشتقاق اللغوي وبالتالي صح عربيتهما، ومن هنا قال الراغب في المفردات: «أجيج النار وأجّتها، وقد أجّت، وائتج النهار ويأجوج ومأجوج منه، شبهوا بالنار المضطرمة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم»[2]، وهذا كله بناءً على عربيتهما، أما بناءً على أعجميتهما فلا يصح ذلك، ومن هنا فُرّق بين كونهما مأخوذان من أج وما يوازيها، وبين كونهما غير ذلك بالنظر إلى عربيتهما وأعجميتهما، نعم فُرق أيضاً بين من قال بهمزهما فقال هما مأخوذان من أجّ، وبين من قال بغير الهمز فقال: هما مأخوذان من يجّ ومجّ، قال الفراهيدي في كتاب العين: «أجّ: ويأجوج ومأجوج، يقرأ على الهمز وبغير الهمز، ومن لم يهمز قال: هو مأخوذ من يجّ ومجّ على بناء فاعول»[3].

ومهما يكن فإن الأقوال في يأجوج ومأجوج من حيث اللغة:

١ ـ إذا كانا عربيان:

أ ـ مأخوذان من أجّت النار بمعنى توقدت، إذا صح فيهما الهمز.

ب ـ مأخوذان من يجّ إذا لم يصح فيهما الهمز.

جـ ـ مأخوذان من أجّ بمعنى أسرع، بالنسبة لمأجوج، ومجّ بمعنى

---

(١) م.ن.

(٢) ص٦٤.

(٣) ج١، ٦٧.

تحدر وانسلّ بالنسبة لمأجوج. والأجّ والمجّ واحد في الفعل مختلف في الصورة كالهمز واللمز.

د ـ يأجوج ومأجوج عند من همزهما من أصل واحد، وعند من لم يهمزهما ليسا من أصل واحد.

والمعنى العام ليأجوج ومأجوج إذن: هو التوقد ـ الاضطراب ـ الإسراع ـ الإنسلال.

٢ ـ إذا كانا أعجميان: فلا يصح كل ما ذكر، ومن هنا قيل: بأن «هاتين الكلمتين عبريتين ولكنهما في الأصل انتقلتا من اليونانية»[١].

ولما أنهما أعجميان فلا ينبغي الإعتناء بمصدر أعجميتهما طالما أنهما أعجميان، وإن كنت أميل ميل بترجيح إلى قولين اثنين تقدما معنا في طيات الكلام:

الأول: ما قرره النافي لأعجمية يأجوج ومأجوج منطلقاً من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾[٢]. ولكن تحقيق القول في كون كل ألفاظ القرآن المفردة غير أعجمية يحتاج إلى دليل، نعم توافق بل تطابق تفسيره ليأجوج ومأجوج بمعنى الإنسلال والإنحدار، والإسراع، مع قوله تعالى في وصفهما: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ يمكن أن يقترب بنا إلى الإذعان بصدق هذا التعريف اللغوي.

الثاني: ما ذكره الراغب في مفرداته حيث قال: «شبهوا بالنار المضطرمة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم» فهذا مما يتوافق مع قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾[٣] والله العالم.

---

(١) الأمثل، مجلد ٩، ٣٣١.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٩.

يأجوج ومأجوج في الكتب القديمة

يأجوج ومأجوج وردا في الكتب القديمة سيما في التوراة، والبعض «يعتقد أن هاتين الكلمتين عبريتين، ولكنهما في الأصل إنتقلتا من اليونانية إلى العبرية، إذ كانتا تلفظان في اليونانية بـ«گاك وما گاك» ثم انتقلتا على هذا الشكل إلى كافة اللغات الأوروبية»[1].

«وفي كتاب «حزقيل» من التوراة، الفصل الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين، وفي كتاب رؤيا يوحنا الفصل العشرين، ذكرا بعنوان «گوك» و«ماگوگ» التي تعني بعد التعريب يأجوج ومأجوج»[2].

«وورد ذكر «مأجوج» و«جوج ومأجوج» في مواضع من كتب العهد العتيق ففي الإصحاح العاشر من سفر التكوين من التوراة: «وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافث وولد لهم بنون بعد الطوفان. بنويافث جومر ومأجوج وماداي وباوان ونوبال وماشك ونبراس».

وفي كتاب حزقيال الإصحاح الثامن والثلاثون «وكان إلى كلام الربّ قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض مأجوج رئيس روش ماشك ونوبال، وتنبأ عليه وقل: هكذا قال السيد الرب: ها أناذا عليك ياجوج

---

(١) الأمثل، مجلد ٩، ٣٣٠.

(٢) م.ن.

رئيس روش ماشك ونوبال وأرجعك وأضع شكائم في فكيك واخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً كلهم لابسين أفخر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان كلهم ممسكين السيوف فارس وكوش وفوط معهم كلهم بمجن وخودة، وجومر وكل جيوشه وبيت نوجرمه من أقاصي الشمال مع كل جيشه شعوباً كثيرين معك».

قال: «لذلك تنبأ يا ابن آدم وقال لجوج: هكذا قال السيد الرب: الرب في ذلك اليوم عند سكنى شعب اسرائيل آمنين أفلا تعلم وتأتي من موضعك من أقاصي الشمال» الخ.

وقال في الإصحاح التاسع والثلاثين ماضياً في الحديث السابق: وأنت يا ابن آدم تنبأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب ها أنا ذا عليك يا جوج رئيس روش ماشك ونوبال واردك واقودك وأصعدك من أقاصي الشمال. وآتي بك على جبالِ إسرائيل وأضرب قوسك من يدك اليسرى واسقط سهامك من يدك اليمنى فتسقط على جبالِ إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحفل، على وجه الحفل تسقط لأني تكلمت بقول السيد الرب، وأرسل ناراً على مأجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون أني أنا الرب».

وفي رؤيا يوحنا في الإصحاح العشرين: «ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان، وقيده ألف سنة، وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكيلا يضلّ الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة، وبعد ذلك لا بد أن يحل زماناً يسيراً.

قال: «ثم متى تمت الألف سنة لن يحلّ الشيطان من سجنه ويخرج

ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج ومأجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر فصعدوا على عرض الأرض، وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم، وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذّاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الأبدين»[1].

فيستفاد أن يأجوج في الكتب القديمة إسمه «جوج»، وقد نقل صاحب كتاب الأمثل عن العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان قوله: «إنه يستفاد من مجموع ما ذُكر في التوارة أن مأجوج أو جوج ومأجوج هم مجموعة أو مجاميع كبيرة كانت تقطن أقصى نقطة في شمال آسيا، وهم أُناس محاربون يغيرون على الأماكن القريبة منهم»[2].

وبالفعل فإننا إذا أردنا إيجاد جامع مشترك بين ما قيل في التوراة عن يأجوج ومأجوج، وبين ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، نجد أن الجامع المشترك ثلاثة أمور:

الأول: أن يأجوج ومأجوج كانا في سجن، ثم يخرجان للإفساد.

الثاني: أن دورهما ـ أي يأجوج ومأجوج ـ هو دور إفسادي.

الثالث: أن جموعهما كثيرة وغفيرة.

بل إذا تأملنا أكثر يمكن أن تتشارك أحاديث التوراة مع الروايات الإسلامية من حيث توصيف الأعلام والزمان والمكان والله العالم.

---

(١) ميزان الحكمة، ج٩، ص٤٢٢ وما بعدها.
(٢) الأمثل، مجلد ٩، ص٣٣١.

الآيات الواردة بشأن يأجوج ومأجوج

تحدث القرآن الكريم عن ظاهرة يأجوج ومأجوج بصورة مرتبطة مع مجريات سيرة إحدى الشخصيات الإلهية الكبرى المعروفة «بذي القرنين» في بعض الموارد، وفي مورد آخر ذكر الله عزَّ وجلَّ يأجوج ومأجوج بصورة مرتبطة بتحقيق الوعد الإلهي.

وبالحقيقة فإن الآيات الواردة بشأن يأجوج ومأجوج ذكرت في موضعين من القرآن الكريم إحداهما في سورة الكهف، وثانيهما في سورة الأنبياء، وهذين الموضعين هما:

١ ـ في سورة الكهف: حيث قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا

وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾[1].

٢ ـ في سورة الأنبياء: حيث قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[2].

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٨٣ ـ ٩٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦ ـ ٩٧.

تفسير مفردات الآيات الواردة

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: أي يسألونك يا محمد ﷺ.
- ﴿ذِكْرًا﴾: خبراً وقصة.
- ﴿مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ملكناه حتى صارت تحت ولايته وسلطته.
- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾: أي أعطيناه كل القدرات والطاقات حتى يبلغ ما يعزم عليه بإذن من الله عزَّ وجل وطلبٍ منه.
- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾: أي سلك طريقه الذي خرج من أجله.
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾: أي وصل غرب الكرة الأرضية.
- ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: شديدة السخونة، وهي من ماء وطين.
- ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾: أي عذاباً منكراً. في نار جهنم.
- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾: أي سلك طريقاً آخراً عزم على سلوكه.
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾: أي شرق الكرة الأرضية.
- ﴿أَحَطْنَا﴾: علمنا
- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾: سلك طريقاً ثالثاً.
- ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لا يفهمون، وقيل: لا يفهمون لغة ذي القرنين.

- ﴿خَرْجًا﴾: جعلاً من المال.

- ﴿بِقُوَّةٍ﴾: برجالٍ. وقيل بالأدوات.

- ﴿رَدْمًا﴾: سداً وحاجزاً. وقيل غير ذلك وسيأتي الكلام عنه.

- ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قطع الحديد الصغيرة.

- ﴿سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾: سوّى بين جانبي الجبلين.

- ﴿قِطْرًا﴾: النحاس المذوب.

- ﴿يَظْهَرُوهُ﴾: يعلوه.

- ﴿نَقْبًا﴾: أي خرقاً وحفراً.

- ﴿دَكَّآءَ﴾: مسوىً بالأرض.

- ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم.

- ﴿نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: قرن ينفخ فيه نفخة البعث. وقيل: جمع الصور.

- ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: فتحت جهتهم بخراب السد الذي حجزهم حين بُني على يد الإلهي المعروف بذي القرنين.

- ﴿مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾: من كل مرتفع من الأرض يسرعون.

- ﴿ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾: قيام الساعة. وقيل موعد خروج يأجوج ومأجوج.

﴿شَٰخِصَةٌ﴾: لا تطرف.

التفسير الإجمالي للآيات القرآنية

تتحدث الآيات القرآنية عن سؤال وُجه إلى النبي محمد ﷺ حول قصة ذو القرنين فكان أمر الله عزَّ وجل إليه أن يحدثهم عنه، فهو ممن آتاه الله الملك والسلطنة وهيء له كل أسباب القوة والمعرفة بما يُتيح له تحقيق الأهداف الإلهية التي أرسل من أجلها، فها هو يسلك طريقاً إلى غرب الأرض حيث وصل إلى تلك المنطقة المغربية فوجد قوماً من الأقوام ووجد نفسه مُطالب بالحكم العادل، وكان قراره أن يعاقب المصر على الشرك ويجازي التائب المحسن، ثم إنه سلك طريقاً آخر فبلغ جهة الشرق فوجد قوماً تباشرهم الشمس بحرارتها القاسية، وكل هذا بعلم الله عزَّ وجلَّ، ثم أنه عليه السلام سلك طريقه متوجهاً نحو منطقة تقع بين جبلين، وهناك التقى بقومٍ كانوا ولا زالوا يعانون من مشكلة عويصة قوامها: وجود جماعة همجية كثيرة العدد تعمل بالناس والأرض والخيرات قتلاً، ونهباً، وفساداً، وتخريباً، وبما أن القوم لا يعرفون طرق وسبل التخلص من جماعة يأجوج ومأجوج المفسدة، وبما أنهم لا يهتدون لذلك سبيلاً؛ فقد وجدوا في ذي القرنين عليه السلام الحل الشافي، والأمل الكافي في تخليصهم من يأجوج ومأجوج، وعرضوا على ذي القرنين عليه السلام أن يأخذ مالاً لقاء خدمته التي سيخدمهم بها، ولكنه لم يقبل بعرضهم المالي لأن الله عزَّ وجلَّ أعطاه أكثر مما يعرضونه عليه، ولكنه طلب منهم أن يمدوه بالرجال الأقوياء، وأن يأتوا له بالمواد الأولية المتوفرة

لديهم حتى يبني لهم سداً من نحاس يمنع يأجوج ومأجوج من الخروج منه وتخطيه، وهكذا وبعملية إعمارية وكيميائية بنى عليه السلام سداً نحاسياً قوياً، لا تستطيع أفواج يأجوج ومأجوج أن تقفز من فوقه، ولا تستطيع أن تحفر عميقاً للخروج من تحته، وهكذا بنى عليه السلام لهؤلاء القوم المستضعفين سداً حتى أعطاهم الآمان بأكثر مما يرجون، ثم أن هذا السد سيبقى حتى يجيء وعد الله عزَّ وجل قبل يوم القيامة فإذا جاء وعد الله عزَّ وجل خرب السد وانهار وخرجت أفواج يأجوج ومأجوج وأفسدت إفساداً يفوق التصور.

التفسير التفصيلي للآيات القرآنية

١ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: الخطاب موجه إلى النبي محمد ﷺ، ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أي أخبرنا عن خبره وقصته لا عن شخصه كما أورد الطبرسي في تفسيره[١] واختلف فيه من هو؟؟ وما هي شخصيته وأوصافه؟؟ وفي أي زمان كان؟؟ وأين كان حكمه؟؟ وسيأتي الحديث عن هذا مفصلاً في عنوان مستقل.

﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي يا محمد ﷺ قل لهم سأقرأ عليكم منه خبراً وقصة والذكر حضور المعنى للنفس، وقد يكون بالقلب وهو التفكر، وقد يكون باللسان[٢]، وهنا الذكر باللسان كما لا يخفى.

إذن سُئل النبي ﷺ عن ذي القرنين، وأمره الله عزَّ وجل بالإجابة بحسب القرآن، وقد ورد لفظ ويسألونك في القرآن الكريم في عدة مواضع، وهذا من الأساليب المهمة للوحي حيث تكون الآيات القرآنية جارية مع حياة الناس ومواكبة لهم، ومن الموارد التي ورد فيها لفظ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[٣]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[٤]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

---

(١) مجمع البيان، ج١٦، مجلد ٦، ص٣٧٩.
(٢) م.ن.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

ٱلْمَحِيضِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[2]، و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[3]، و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[4] وإلى آخره.

٢ ـ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾[5].

أي: بسطنا يده في الأرض، وملكناه حتى استولى عليها، وقام بمصالحها. وروي عن علي عليه السلام أنه قال: سخّر الله له السحاب، فحمله عليها، ومدّ له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء. فهذا معنى تمكينه في الأرض، وهو أنه سهل عليه المسير فيها، وذلّل له طريقها وحزونها، حتى تمكن فيها أنّى شاء»[6]، وقال بعضهم أن مقتضى عموم قوله ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ يدل على أنه ما من شيء من أسباب الحياة إلا وأوتي منه عليه السلام، بل إن بعضهم استدل على نبوته عليه السلام بعموم إتيانه من كل شيء سبباً، ومن المعلوم وجود خلاف حول هذه الشخصية الإلهية المعروفة بذي القرنين وحول كونه إنسياً أم ملكاً أم غير ذلك.

وبالجملة فقوله عزَّ وجلَّ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ أي: فأعطيناه من كل شيء علماً يتسبب به إلى إرادته، ويبلغ إلى حاجته... وقيل: معناه وآتيناه من كل شيء يستعين به الملوك على فتح البلاد، ومحاربة الأعداء»[7].

وبالعموم فإن قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ يعني أُعطي عليه السلام كل ما يحتاجه في مسيرته الإلهية.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٨٤.
(٦) مجمع البيان، ص٣٧٨.
(٧) مجمع البيان، ج١٦، ٣٨٠.

٣ ـ ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[1] واختلف حول المراد بقوله عزَّ وجل فأتبع سبباً على قولين:

الأول: أنه عليه السلام أتبع طريقاً من طرقه التي عزم على سلوكها وهي الطريق التي سلكها نحو الغرب.

الثاني: أن قوله عزَّ وجل ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ أي أنه أتبع سبباً من الأسباب التي أوتي بها في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾، فيكون قوله عزَّ وجل ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾متفرعاً على الأسباب التي أوتيها.

ولكن الإنصاف هنا أنه عليه السلام أتبع سبباً أي سلك طريقاً أوصلته فيما بعد إلى المغرب.

٤ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾[2].

يتحدث القرآن الكريم عن ذي القرنين عليه السلام كيف أنه ﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي سلك طريقه نحو غرب الدنيا حيث تغرب الشمس، فوصل إلى تلك المنطقة حيث مغرب الشمس، وموضع مغرب الشمس هذا في آخر عمارة الدنيا، حيث لم يبق بعد هذا الموضع أي أثر من العمارات. وقال ابن جريج: هناك مدينة لها إثنا عشر ألف باب وهذا من الغرائب.

وعندما وصل عليه السلام إلى موضع مغرب الشمس وجد أن الشمس تغرب في عين حمئة أي حامية، ومعنى العين الحمئة أي العين المليئة بالطين الأسود المنتن، وهي عين حامية وحارة، وعن كعب قال: أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين[3].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٥.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٦.
(٣) مجمع البيان، ص٣٨٠.

وحول غروب الشمس في عين حمئة أقوال:

القول الأول: أنها تغرب في عين حمئة حقيقية، وهذا الرأي بعيد جداً وللرازي في استبعاد هذا القول مناقشة لطيفة هذا نصها:

«ثبت بالدليل أن الأرض كرة وأن السماء محيطة بها، ولا شك أن الشمس في الفلك، وأيضاً قال: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ ومعلوم أن جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود، وأيضاً الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض»[1].

القول الثاني: إن ذا القرنين لما بلغ موضع الشمس في المغرب ولم يبقَ بعده شيءٌ من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم يرَ الشاطىء وهي في الحقيقة تغيب وراء البحار، وهذا ما قرره العلامة الطبرسي في تفسيره حيث قال: «وجدها تغرب» «أي كأنها تغرب في عين حمئة» وإن كانت تغرب وراءها لأن الشمس لا تزايل الفلك فلا تدخل في عين الماء، ولكن لما بلغ ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كما أن من كان في البحر يراها كأنها تغرب في الماء، ومن كان في البر يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء»[2].

القول الثالث: أن للجانب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها، فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في البحار، ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية وهي أيضاً حمئة لكثرة ما فيها من الحمأة السوداء والماء، فقوله: «تغرب في عين حمئة» إشارة إلى أن الجانب الغربي من

---

(١) التفسير الكبير.

(٢) مجمع البيان، ج١٦، مجلد ٦، ص٣٨٠.

الأرض قد أحاط به الأرض وهو موضع شديد السخونة.

هذا في تفسير عبارة «وجدها تغرب في عين حمئة»، أما قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ فالضمير في قوله «عندها» إما عائد إلى الشمس ويكون التأنيث للشمس، وإما عائد إلى العين الحامية، ورجحّ الطبرسي رجوع الضمير إلى العين لا إلى الشمس. وهكذا وجد عليه السلام أناساً يتصفون بصفة الكفر، فقال له الله عزَّ وجل بإلهام منه: إما أن تعذب هؤلاء وإما أن تعفو عنهم، وقال الطبرسي: إما أن تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك، وإما أن تأسرهم وتمسكهم بعد الأمر، لتعلمهم الهدى، وتستنقذهم من العمى... فقضى ذو القرنين فيهم بقضاء الله تعالى، وكان عالماً بالسياسة[1].

٥ ـ قال ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾[2].

ولما طلب الله عزَّ وجلَّ من ذي القرنين عليه السلام أن يحكم في قوم موضع مغرب الشمس، وخيّره عزَّ وجل في ذلك، حكم بحكم الله عزَّ وجل فقرر ما يلي:

أولاً: من بقي على الشرك ورفض التوبة والهداية يقتل في الدنيا، ويعذب عذاباً أشد وقعاً من القتل في الآخرة، فيخسر الدنيا والآخرة.

ثانياً: من قبل منهم بالهداية، فسنعفو عنه، ونقول له قولاً جميلاً.

٦ ـ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾[3]، أي سلك طريقاً آخر من الأرض بغية الوصول إلى الشرق بعدما انتهى من سفره إلى الغرب.

٧ ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا

---

(١) م.ن، ٣٨١.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٧.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٩.

سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾[1] وسار عليه السلام في طريقه الإلهي حتى وصل إلى شرق الكرة الأرضية، حيث تطلع الشمس، والتقى هناك بأناس يعيشون في أقرب الأماكن من مطلع الشمس، وأما قوله عزَّ وجلَّ ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ فقيل في ذلك قولان:

الأول: ليس هناك شجر ولا جبل، ولا أبنية تمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم، فلهذا السبب إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب واغلة في الأرض أو غاصوا في الماء فيكون عند طلوع الشمس مما يتعذر عليهم التصرف في المعاش وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش.

قال العلاّمة الطبرسي في تفسير هذا المقطع القرآني: «معناه أنه لم يكن بها جبل، ولا شجر، ولا بناء، لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والأسراب، وإذا غربت تصرفوا في أمورهم»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام في رواية قال: «لم يعلموا صنعة البيوت»[3].

الثاني: إن معناه أنه لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً، ويقال في كتب الهيئة: إن حال أكثر الزنج كذلك وحال كل من يسكن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك[4].

ومن الطريف ما قيل بأن أهل تلك المناطق كانوا يشوون الأسماك النيئة على الشمس.

٨ ـ كذلك ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾[5].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٠.
(٢) ص ٣٨٢.
(٣) م.ن.
(٤) تفسير الرازي، ج٢١، ص٤٩٧.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٩١.

وقيل في تفسير هذه الآية أقوال منها:

القول الأول: أي علمنا ما كان عند ذي القرنين من الجيوش، والعدة، والآت السياسة[1].

القول الثاني: معناه أحطنا علماً بصلاحه واستقلاله بما ملكناه قبل أن يفعله، كما علمناه بعد أن فعله، ولم يخف علينا حاله[2].

القول الثالث: كذلك جعل الله أمر هؤلاء القوم على ما قد أعلم رسوله ﷺ في هذا القرآن الكريم.

القول الرابع: كذلك كانت حاله مع أهل مطلع الشمس كما كانت حالته عليه السلام مع أهل مغرب الشمس، فكلما قضى في أولئك قضى وحكم في هؤلاء.

القول الخامس: أنه عزَّ وجل بقوله «كذلك» أي تم الكلام عن قوم أهل مطلع الشمس كما وجدهم عليه ذو القرنين. وبعد ذلك تحدث الله عزَّ وجل عن أنه عزَّ وجل كان محيطاً بما كان يفعله عليه السلام وهذا يعني أن هذا القول يفرق بين عبارة «كذلك» وبين باقي الآية. هذا وليعلم بأن لفظ «بما لديه» الوارد في الآية الآنفة الذكر إشارة إلى حسن الثناء من قبل الله عزَّ وجل على ذي القرنين عليه السلام، وأيضاً إشارة على الرضى بأفعاله في جميع أحواله عليه السلام.

٩ ـ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[3]. أي ثم اتبع مسلكاً بالغاً مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض. وهذا يقوي قول من قال: بل هو المتيقن ـ إن الأرض كروية الشكل، لأنه لم يأخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه، وإنما أخذ في طريق آخر[4].

---

(١) مجمع البيان، ٣٨٢.
(٢) م.ن.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٢.
(٤) مجمع البيان، ص٣٨٢.

١٠ - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[١]، سلك عليه السلام طريقاً ثالثاً نحو منطقة جبلية، وبالتحديد إلى منطقة تقع بين جبلين، وقيل أن موضع السدين في ناحية الشمال. وقيل: هما جبلان بين ارمينية وبين أذربيجان. وقيل: في مقطع أرض الترك. وحكى الطبري في تاريخه: أن صاحب أذربيجان أيام فتحها وجهِ إنساناً إليه من ناحية الخزر فشاهده ووصف أنه بنيان رفيع وراء خندق عميق وثيق منيع. وقال أبو الريحان: مقتضى هذا أن موضعه في الربع الشمالي الغربي من المعمورة»[٢]، وذكر المراغي في تفسيره أن موضع السدين وبالتالي سد ذو القرنين يقع وراء جيحون في عمالة بلخ وهو بمقربة من مدينة ترمذ وقد نقل المراغي ذلك عن مجلة المقتطف لسنة ١٨٨٨[٣]، وبما أن موضع السدين أو الجبلين في نفس موضع يأجوج ومأجوج فقد ذكر المراغي أن بلادهم تمتد من التبت والصين إلى البحر المتجمد»[٤].

ومهما يكن فالمراد بالسدين الجبلين «لأن السد يطلق على الجبل وعلى كل حاجز يسد طريق العبور»[٥]، والسدان هما الجبلان اللذان جعل ـ أي ذو القرنين ـ الردم بينهما، وهو الحاجز بين يأجوج ومأجوج[٦].

وقال صاحب التفسير الكاشف في موضع السدين أنها بلاد تقع شرقي البحر الأسود يسكنها الصقالبة ـ كما قيل ـ وفق تعبيره[٧].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٣.
(٢) تفسير الرازي، ج٢١، ص٤٩٨.
(٣) التفسير الكاشف، ج١٦، ص١٥٨.
(٤) م.ن.
(٥) من وحي القرآن، ج١٤، ص٣٩٠.
(٦) مجمع البيان، ص٣٨٧.
(٧) التفسير الكاشف، ج١٦، ص١٥٩.

ثم أنه عليه السلام التقى وراء الجبلين قوماً يعيشون البساطة، ولا يملكون العمق الفكري، ولا يستطيعون إتخاذ التدابيروالسبل المناسبة للدفاع عن أنفسهم، ولذا عبّر القرآن الكريم عنهم بأنهم ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، واختلف حول عدم تفقههم للقول على أقوال:

الأول: أنهم قاصرون عن الفهم والإدراك بالحد المطلوب، أي عندهم سذاجة وبساطة في التفكير العام فهم ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ في ما يوحى به ذلك من بساطتهم وسذاجة فهمهم، بحيث لا يعيشون العمق الفكري في مواجهتهم للمشاكل[1].

قال في الأمثل: البعض احتمل أن جملة ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لا تعني أنهم لم يكونوا يعرفون اللغات، بل كانوا لا يفهمون محتوى الكلام، أي كانوا متخلفين فكرياً»[2].

الثاني: أنهم كان لديهم وعي عادي بحسب ما تقتضيه ظروفهم البيئية البدائية وغير المدنية، وبوعيهم العادي هذا هم لديهم قصور عن مواجهة الطوارىء التي تداهمهم بطريقة فعّالة، ومن هنا فهم يحتاجون إلى من يعينهم على ذلك من خلال دعمه الفكري، والتخطيطي، ومما يؤيد هذا القول أن فكرهم العادي المنطلق من واقع بيئتهم وجغرافيتهم جرّهم إلى اعتماد مقولة بناء سد، وهذا قريب من وجود جبال ووهاد حولهم، ولهذا حدثنا الله تبارك وتعالى عنهم حينما قالوا لذي القرنين: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[3]، أي بينهم وبين يأجوج ومأجوج الذين يغيرون عليهم دوماً. فهم استوحوا هذه الفكرة من خلال بيئتهم المحيطة بهم، ولم يتطرق إلى ذهنهم مقولات أخرى

---

(١) من وحي القرآن، ج١٤، ص٣٩٠.
(٢) الأمثل، ج٩، ص٣١٦.
(٣) سورة الكهف.

من قبيل المعاهدة، أو المواجهة، أو بعث الهدايا، أو الإقناع وما شاكل، نعم قد يُحتمل عدم وجود مشكلة فكرية معمقة عندهم باعتبار أن فكرتهم ببناء السد هي مما أيدها ووافق عليها ذو القرنين عليه السلام، ومما يؤيد هذا الإحتمال طبيعة يأجوج ومأجوج الإفسادية والتي يستفاد منها عدم قابليتهم للمعاهدة أو المواجهة، أو الإقناع أو تقبل الهدايا وشتى الوسائل الأخرى، ولعل هذا مما يؤيد أيضاً مقولة من قال بأن يأجوج ومأجوج ليسا ظاهرة بشرية وسنبحث في هذا مفصلاً بعد حين.

ومهما يكن من شيء فهذا القول مما يمكن المآل إليه ومما يمكن عدم المآل إليه، ولكن يكفي القول بأن هؤلاء القوم لم يكونوا ممن عاش المدنية، ومن هنا اعتبر البعض بأنهم كانوا على مستوى دانٍ من المدنية، وكانوا ضعفاء في المجالين الصناعي والتخطيطي[1]، ويؤيد هذا القول ما تحدث به القرآن الكريم عن فعل ذي القرنين عليه السلام حيث أنه صنع لهم سداً من حديد ونحاس وهذه سابقة لم يسبقه بها أحد.

الثالث: أن معنى قوله: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ما هو معلوم بحسب الظاهر أي أنهم لا يتكلمون كلاماً كاملاً، وبتعبير آخر إنهم يتكلمون بعبارات ناقصة لقلة فهمهم في التعبير عما يريدونه والإشارة عليه، ولذا هم تحدثوا مع ذي القرنين بعبارات ناقِصة لا يمكن الإعتداد بها.

الرابع: المراد بقوله ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي أنهم لديهم لغتهم الخاصة بهم، ولدى ذي القرنين لغته الخاصة به، الأمر الذي أدى إلى ضرورة توسط مترجم بينهما، ولذا قال في الجديد في تفسير القرآن المجيد: «لم يفهموا قوله ولا عرف لغتهم لغرابتها»[2]، وقال في مجمع البيان: «أي خصوا بلغة كادوا

---

(١) م.ن، ص٣١٧.

(٢) ج٤، ص٣٦٣.

لا يعرفون غيرها. قال ابن عباس: كادوا لا يفقهون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم[1].

الخامس: وهو قول ضعيف وهو يعتمد على على عبارة «لا يكادون» حيث أنهم وبمقتضى هذا اللفظ كانوا يفهمون بعض الأشياء بصعوبة دون البعض الآخر، وهذا ما أورده الطبرسي في مجمع البيان حيث قال: «وإنما قال لا يكادون» لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم، وإن كان بعد شدة»[2].

ثم والمهم بعد كل هذا أن ذا القرنين عليه السلام فهم منهم ما يريدونه، واختلف في كيفية فهمهم منه ذلك وفهمه منهم على أقوال:

الأول: أنه عليه السلام فهم منهم مرادهم من خلال تفهيمه لغتهم من قبل الله عزَّ وجل، تماماً كما أمكن الله عزَّ وجل سليمان عليه السلام على فهم منطق الطير، وهذا مستفاد من اعتبارين:

الإعتبار الأول: أنهم كلموه رأساً ومباشرة وبلا واسطة حيث قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾.

الإعتبار الثاني: أن عموم قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يشمل تعلم اللغات ومعرفتها على اختلافها وكثرتها.

قال الطبرسي في مجمع البيان: «ويجوز أن يكون الله سبحانه فهّم ذا القرنين لسانهم كما فهّم سليمان عليه السلام منطق الطير[3].

ومن هنا اعتبر أن الأصح كونه عليه السلام كلمهم رأساً ومن دون واسطة أو مترجم[4].

---

(١) ص٣٨٧.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) الجديد في تفسير القرآن المجيد، ص٣٦٤.

الثاني: أنه عليه السلام كلمهم بواسطة مترجم وأفهموه مرادهم بواسطة مترجم.

الثالث: أنه عليه السلام فهم مرادهم بواسطة الإشارة، قال صاحب التفسير الكاشف: «ولكنه فهم مطالبهم بالإشارة أو بواسطة مترجم»[1].

ومهما يكن فهذه هي الأقوال في ذلك وقد رجّح القول الأول.

١١ ـ ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾[2].

قلنا بأن قوم موضع السدين، والمضيق الجبلي والذين قيل الكثير في مكان سكنهم[3]، تحدثوا مع ذي القرنين إما مباشرة عبر تمكين الله عزَّ وجل لذي القرنين من فهم كلامهم عبر الإلهام الإلهي، وإما بالإشارات، وإما بواسطة مترجم، ورجحنا تكلمه معهم وفهمه لكلامهم مباشرة من دون واسطة، وهكذا فإنهم تحدثوا مع ذي القرنين عليه السلام عن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: المشكلة، فقد طرحوا مشكلتهم أمامه عليه السلام، وتتمثل هذه المشكلة بوجود ظاهرة إفسادية عامة إسمها «يأجوج ومأجوج»، فهذه الظاهرة مفسدة على جميع الصعد اقتصادياً، ودموياً وغير ذلك. ولذا ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[4].

الأمر الثاني: أنهم عرضوا على ذي القرنين عليه السلام عرضاً مالياً لقاء ما سوف يفعله بإزائهم، ولذا قال تعالى حكاية عنهم: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ

---

(١) ج١٦، ص١٥٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٤.

(٣) قال في الجديد في تفسير القرآن المجيد: «والظاهر أنهم الصينيون وما وراءهم في منقطع بلاد الترك في أقصى الشرق» (ج٤، ص٣٦٣).

(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٤.

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[1]، أي نجعل لك عطية نخرجها إليك من أموالنا.

الأمر الثالث: عرضوا عليه عليه السلام مطلبهم النهائي القائم على بناء سد يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[2].

وورد أنهم قالوا لذي القرنين عليه السلام: «فقد بلغنا ما آتاك الله من الملك والسلطان وما أيدك به من الجنود ومن النور والظلمة، وإنّا جيران يأجوج ومأجوج وليس بيننا وبينهم سوى هذه الجبال وليس لهم إلينا طريق إلا من هذين الجبلين لو مالوا علينا أجلونا من بلادنا ويأكلون ويفترسون الدواب والوحوش كما يفترسها السباع ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيّات والعقارب وكل ذي روح ولا نشك أنهم يملأون الأرض ويجلون أهلها منها، ونحن نخشى كل حين أن يطلع علينا أوايلهم من هذين الجبلين، وقد أتاك الحيلة والقوة ﴿...عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾»[3].

وكما قلنا فهؤلاء القوم طلبوا من ذي القرنين أن يبني لهم حاجزاً طبيعياً بوحي من الطبيعة التي كانوا يسكنوها من جهة، وباعتبار أنهم عرفوا مسبقاً أنهم لن يواجهوا يأجوج ومأجوج إلا بهذا الأسلوب.

١٢ ـ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾[4].

ولما سمع منهم ما قالوه له عليه السلام، وما طلبوه، وعرضوه، كان منه عليه السلام أن أجابهم على عرضهم بإعطاءه المال من جهة، وطلب منهم ما يصلح حالهم ويحقق غرضهم من جهة ثانية، ولقاء ما يعينونه عليه سوف يحقق غرضهم بلا شك، ولذا فهنا ثلاث نقاط:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٤.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٤.
(٣) قصص الأنبياء، ص١٨٣.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٥.

النقطة الأولى: ردّ عرضهم بإعطاءه المال: فقد قال لهم: أنا لا أريد منكم مالاً مهما كان كثيراً، لأني أعطيت من الله عزَّ وجل من النعم والقوة والتمكين ما يذهل عقولكم، فإني ممن أعطاني الله عزَّ وجل أفضل بكثير مما تعرضونه عليّ.

النقطة الثانية: أنا لا أريد منكم إلا أن تساعدونني في عملية بناء السد وسبُل المساعدة هي كل ما عندكم من إمكانيات تؤدي بالنهاية إلى تنفيذ غرضكم، وقيل في معنى القوة التي طلبها عليه السلام كإعانة أقوال:

أ ـ الرجال.

ب ـ قوة الأبدان.

جـ ـ العمل الذي تعملونه معي.

د ـ الآت العمل.

وعبارة بقوة تشمل جميع هؤلاء تماماً كقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1] فيشمل كل ما يُستطاع.

النقطة الثالثة: الهدف من هذه المساعدة هو بناء السد، واختلف في معنى الردم على أقوال منها:

أ ـ السد والحاجز.

ب ـ السد المتراكب بعضه على بعض.

قال ابن عباس: الردم أشد الحجاب[2]، وقال في الأمثل: «كلمة ردم» على وزن «طرد» وهي في الأصل تعني ملء الشق بالأحجار، إلا أنها فيما

---

(١) سورة الأنفال، ٦٠.
(٢) مجمع البيان، ص٣٨٨.

بعد أخذت معنىً واسعاً بحيث يشمل كل سد، بل وشمل حتى ترقيع الملابس.

يعتقد بعض المفسرين أن كلمة «ردم» تقال للسد القوي، ووفقاً لهذا التفسير «فإن ذا القرنين قد وعدهم بأكثر مما كانوا ينتظرونه»[1].

ومهما يكن من شيء فإن حل مشكلة هجوم وإفساد يأجوج ومأجوج لا تتناسب إلا مع بناء سد قوي متراكب على بعضه البعض.

١٣ ـ ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾[2].

ثم أنه عليه السلام بدأ ببناء السد بمعاونة قوم تلك المنطقة، فاتخذ هذه الخطوات:

الخطوة الأولى: طلب منهم أن يأتوه بقطع الحديد وبما أن تلك المنطقة كانت غنية بالمعادن فقد كانت قطع الحديد متوفرة، وهكذا أتوه بقطع الحديد فجعلها بين الجبلين حتى صارت قطع الحديد متوازية معهما.

الخطوة الثانية: أمرهم بأن تنفخ النار في الحديد، فلما اشتعلت النار بالحديد بشكل فعّال، صار الحديد من شدة الإشتعال جمراً وقطعة واحدة، أو صار الحديد كالنار في مظهره من شدة اللهب.

الخطوة الثالثة: طلب منهم أن يعطوه نحاساً مذوباً فصبه على السد بين الجبلين حتى ينسد الثقب الذي فيه، وبهذا أصبح السد جداراً صلباً تاماً حجارته من حديد، وطينه من نحاس مذوب.

---

(١) مجلد ٩، ص٣١٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٦.

وورد أنه عليه السلام أمر بقطع الحديد والنحاس بالألماس، فقد نقل في قصص الأنبياء رواية جاء فيها ذكر أدوات بناء السد. ومما جاء فيها: «ثم أنه دلهم على معدن الحديد والنحاس فضرب لهم في جبلين حتى فتقهما واستخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس، قالوا: بأي قوة نقطع هذا الحديد والنحاس؟ فاستخرج لهم من تحت الأرض معدناً آخر يقال له السامور ـ أي الألماس ـ وهو أشد بياضاً وليس شيءٌ منه يوضع على شيء إلا ذاب تحته، فصنع لهم منه آداة يعملون بها»[1].

ومن بناء السد نستفيد أن ذا القرنين عليه السلام استطاع أن يخترع معادلة كيميائية معقدة، بل كان من المؤسسين لعلم الكيمياء.

١٤ ـ ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾[2].

ثم أن الآية تحدثت عن يأجوج ومأجوج قائلة: أنهم لم يستطيعوا أن يعلوا على ظهر السد وأن يصعدوا من فوقه، ولم يستطيعوا أن يحفروا عميقاً ليخرجوا من تحته، مما يدل على نجاح مشروع السد، وجاء في الحديث: إنهم يدأبون في حفره نهارهم، حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس، قالوا: نرجع غداً ونفتحه، ولا يستثنون. فيعودون من الغد، وقد استوى كما كان»[3].

١٥ ـ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[4].

ثم أنه عليه السلام وبعد بناء السد ونجاحه حيث أن يأجوج ومأجوج لم يستطيعوا تجاوز السد؛ بين عليه السلام ثلاث حقائق متعلقة ببناء السد:

---

(١) ص١٨٣.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٧.
(٣) قصص مجمع البيان، ص٣٨٩.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٨.

الحقيقة الأولى: أن بناء السد هو رحمة إلهية، جعلها الله عزَّ وجل لهؤلاء القوم ولغيرهم قبل موعد انهدامه على يد ذي القرنين عليه السلام، ومن مظاهر رحمة الله عزَّ وجل بخصوص بناء هذا السد:

أ ـ الموفقية التي حظيت بها الشخصية الإلهية المعروفة بذي القرنين عليه السلام من حيث بناء السد ونجاحه.

ب ـ توفير الأدوات اللازمة لبناء السد، إذ لو لم تكن هذه الأدوات والمعادن متوفرة في تلك البلاد لما بُني السد بمثل ما بني عليه.

جـ ـ إن بناء السد من قبل ذي القرنين عليه السلام كان بخلاف المتوقع عند قوم المضيق الجبلي، فهم كانوا يتوقعون بناء سدٍ لا يكون له هذا الأمد البعيد.

د ـ إن هذا السد قام بوظيفة فعالّة من خلال منع فساد يأجوج ومأجوج. وقد كان لذي القرنين عليه السلام دوراً عاطفياً رحيمياً في هذا المجال بخلاف ملوك الزمان الأخرين فإنهم كانوا لا يعينون أحد إلا بمقابل، ولهذا ورد أن ملوك الأرض الصالحين في الدنيا أربعة: ذو القرنين، وداوود وسليمان ويوسف»[1]، ولا ريب بأن ما فعله ذو القرنين إنما ينم عن هذا الصلاح والتعاطف الذي بدر منه، ويقول الشيخ محمد جواد مغنية في هذا المجال: «وبناء هذا السد أصدق مثال على أنه قد كان في تاريخ الإنسانية تعاون وتعاطف بين الدول الغنية الكبرى والدول الضعيفة «النامية»، بين الشعب الذي يملك أسباب التطور، والشعب الذي لا يملكها.

وقوة الولايات المتحدة ـ أمريكا ـ تشبه إلى حد بعيد قوة ذي القرنين من حيث أن كلاً منها لا تضارعها قوة في عصرها، ولكن الفرق بعيد جداً

---

(١) قصص الأنبياء، ص١٧٨.

من حيث النتائج فإن ذا القرنين كان بكل ما يملك من قوة ملكاً لخير البشرية وإسعادها، أما قوة الولايات المتحدة فهي لحماية الشر والصهيونية، وللسيطرة على المقدرات والأسواق والأفكار لمصلحة الاستعمار والرجعية بشتى صورها وأشكالها»[1].

الحقيقة الثانية: مجيء وعد الله عزَّ وجلَّ، واختلف في المراد من قوله وعد ربي على أقوال منها:

أ ـ المراد هو علامات القيامة وبالتعبير القرآني «أشراط الساعة».

ب ـ موعد خروج يأجوج ومأجوج مطلقاً.

جـ ـ بعد قيام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وقيل بعد قتل الدجال والله أعلم.

وهذه الحقيقة التي ذكرناها هي حقيقة إندكاك السد وتسويته بالأرض فالوعد الإلهي الذي سيتحقق هو وعد باندكاك السد.

الحقيقة الثالثة: إن وعد الله عزَّ وجل لن يُخلف، فهو متحقق حتماً «وكان وعد ربي حقاً».

١٦ ـ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾[2]، وهنا أمران:

الأمر الأول: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾. وقيل في ذلك أقوال منها:

أ ـ أن يأجوج ومأجوج يموج بعضهم في بعض وهم داخل السد، إذ أنهم ممن يمنع عليهم تجاوز السد، فهم يزدحمون، ويموجون، ويتلاطمون داخل السد.

---

(١) التفسير الكاشف، ج١٦، ص١٥٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٩.

ب ـ أنهم حين يخرجون من وراء السد يموجون مزدحمين في البلاد، يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ويأكلون لحوم الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس[١].

قال في التفسير الكاشف: «فإنا نفهم منه أن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض بعد خراب السد، ويفسدون على الناس حياتهم»[٢].

جـ ـ أن المراد بقوله «وتركنا بعضهم يومئذٍ» أي يوم القيامة.

واستبعد غير واحد كون المراد في قوله «يومئذٍ» خصوص يوم القيامة، ورجحوا كونه يوم اندكاك السد، قال الرازي في تفسيره: «إلا أن الأقرب أن المراد الوقت الذي جعل الله ذلك السد دكاً فعنده ماج بعضهم في بعض»[٣]، وقال الشيخ مغنية في تفسيره: «هذا إلى أنه لو كان المراد بمجيء وعده تعالى يوم القيامة أو بعد الدجال لكان السد موجوداً الآن كما هو ومن الواضح أنه لو كان لبان»[٤].

وقال في مجمع البيان: وتركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد، يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم، ويكون حالهم كحال الماء يموج باضطراب أمواجه»[٥].

د ـ قيل: أنه أراد سائر الخلق من الجن والإنس، أي: وتركناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج، يختلطون بعضهم ببعض»[٦].

---

(١) تفسير الرازي، ج٢١، ص٤٩٩.
(٢) ج١٦، ص١٦٠.
(٣) ج٢١، ص٥٠٠.
(٤) ج١٦، ص١٦٠.
(٥) مجلد ٦، ج١٦، ص٣٩١.
(٦) م.ن.

الأمر الثاني: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾[1].

وهنا يتحدث الله عزَّ وجل عن يوم القيامة حيث أن هناك حدثان:

الحدث الأول: النفخ في الصور واختلف في نفخ الصور على أقوال:

أ ـ أن الصور هو قرن ينفخ فيه.

ب ـ أن الله عزَّ وجل يصور الخلق في القبور بجمع صورهم ثم ينفخ فيها الأرواح.

جـ ـ أن إسرافيل ينفخ في الصور ثلاث نفخات:

١ ـ نفخة الفزع.

٢ ـ نفخة الصعق، التي يصعق فيها من في السماوات والأرض فيموتون.

٣ ـ نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم[2].

الحدث الثاني: جمع الخلائق جميعاً على صعيد واحد للحساب.

١٧ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾[3].

آيتان من سورة الأنبياء تتصلان إتصالاً عضوياً بالآيات الواردة في سورة الكهف حول يأجوج ومأجوج، وعبارة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ إشارة واضحة إلى السد، أي فتحت جهة يأجوج ومأجوج، وعند

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٩.

(٢) انظر مجمع البيان: ج٣٩١.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦ ـ ٩٧.

خروجهم يرجعون إلى ما هم عليه من إفساد وقتل ونهب.

وقيل المراد بقوله: «وهم من كل حدب ينسلون «أي سائر الخلق في يوم القيامة.

وبالطبع فإنه وعند اقتراب الوعد الحق ومجيء يوم القيامة تشخص أبصار الكفار بمعنى أنهم يصابون بالصدمة التي تذهلهم عن كل شيء فترى أبصارهم لا تتحرك من هول ذلك اليوم، وبعدها يشعرون بالحسرة والندم لأنهم غفلوا عن الآخرة ولم يهتموا إلا بالدنيا، وعندها يعلمون بأنهم ظلموا أنفسهم من خلال غفلتهم عن الآخرة.

الرحلات الثلاث لذي القرنين عليه السلام

تبين معنا بعد استعراض الآيات القرآنية الخاصة بذي القرنين عليه السلام، أنه قام برحلات ثلاث:

الرحلة الأولى: باتجاه مغرب الشمس، حيث وجد أن الشمس تغرب في عين حامية، وقلنا أن المراد بغروب الشمس في عين حامية أي كأنها تغرب في عين حامية.

الرحلة الثانية: باتجاه مشرق الشمس حيث وجد هناك أناساً لا ستر لهم يقيهم من حر الشمس، إما ستر تكويني كالجبال والأشجار، وإما ستر متعارف كاللباس وما شاكل.

الرحلة الثالثة: باتجاه المضيق الجبلي، حيث وجد أولئك القوم الذين اشتكوا إليه فساد وإفساد يأجوج ومأجوج، فبنى لهم السد.

وقد ورد في كتب التاريخ أنه كان لذي القرنين عليه السلام جيوشاً قادها في هذه الرحلات الثلاث.

أسباب نزول الآيات
الواردة بشأن ذي القرنين عليه السلام

هناك أسباب لنزول هذه الآيات الواردة بشأن ذي القرنين عليه السلام وبشأن رحلاته، ويأجوج ومأجوج، والسد، وقد ورد أن سبب الحديث القرآني عن ذي القرنين عليه السلام هو: أن مجموعة من قريش وبتنسيق مع اليهود أو بتحريض ودفع منهم، قررت اختبار نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقامت بطرح ثلاثة أسئلة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

السؤال الأول: عن الفتية من أصحاب الكهف، حيث قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[1].

السؤال الثاني: عن ماهية الروح، حيث قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾[2].

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٩ ـ ١٤.

(٢) الإسراء، ٨٥.

السؤال الثالث: السؤال عن ذي القرنين حيث قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[1].

فعن «محمد بن إسحاق بإسناده عن سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عباس أن النضر بن الحرث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، أنفذهما قريش إلى أحبار اليهود بالمدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصفا لهم صفته، وخبّراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا. فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار اليهود عن النبي ﷺ وقالا لهم ما قالت قريش، فقال لهما أحبار اليهود: اسألوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فرأوا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب.

وسلوه عن رجل طواف، قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه. وسلوه عن الروح ما هو. وفي رواية أخرى فإن أخبركم عن اثنتين ولم يخبركم بالروح فهو نبي.

فانصرفا إلى مكة، فقالا: يا معاشر قريش! قد جئناكم بفصل ما بينكم، وبين محمد، وقصّا عليهم القصة. فجاءوا إلى النبي ﷺ فسألوه، فقال: أخبركم بما سألتم عنه غداً، ولم يستثن، فانصرفوا عنه فمكث ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبرائيل، حتى أرجف أهل مكة، وتكلموا في ذلك، فشقّ على رسول الله ﷺ ما يتكلم به أهل مكة عليه، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سألوه عنه، عن أمر الفتية، والرجل الطواف، وأنزل عليه ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

---

(١) سورة الكهف.

﴿الرُّوحُ﴾ الآية. قال ابن اسحاق: فذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال لجبرائيل حين جاءه: لقد أحتبست عني يا جبرائيل؟ فقال له جبرائيل عليه السلام: «وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا» الآية[1].

وهذه الرواية وإن كان فيها خلل من ناحية أن النبي ﷺ كان قد وعد قريش بالإجابة غداً ثم لم يجبهم إلا بعد خمس عشرة يوماً، حيث أنه ﷺ معصوم ولا يصدر منه الوعد والخلف؛ إلا أن أسباب نزول الآيات بهذا الموضوع صحيحة بلا ريب.

---

(١) مجمع البيان، مجلد ٦، ج١٥، ٣١٣ ـ ٣١٤.

ذو القرنين وسماته في القرآن

لقد تحدث القرآن عن ذي القرنين عليه السلام من خلال ثلاثة أمور:

الأمر الأول: من حيث سماته وأوصافه.

الأمر الثاني: من حيث ما مكنه الله عزَّ وجل وأعطاه.

الأمر الثالث: من حيث أفعاله وسيرته.

ونحن سوف نشير إلى هذه الأمور مجتمعة عبر الآتي:

١ ـ أنه عليه السلام كان مشهوراً لدى الديانات التي كانت قبل الإسلام، بدلالة شهرته عند الذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[1].

٢ ـ لقد هيأ الله عزَّ وجل له أسباب القوة، وعوامل التمكين، ومقدمات الإنتصار، وجعل كل المقدرات والطاقات تحت متناول يده.

٣ ـ لقد جهز ثلاثة جيوش مهمة: الأول إلى الغرب، والثاني إلى الشرق، والثالث إلى المنطقة التي تضم المضيق الجبلي، وفي كل الأسفار كان له تعامل مع الأقوام المختلفة بحسب المقتضيات المناسبة.

---

(١) سورة الكهف

٤ ـ لقد كان رجلاً مؤمناً تتجلى فيه صفات التوحيد، والعطف، والزهد، والإحسان إلى الغير، وعدم الإنحراف عن طريق العدل.

٥ ـ كان مؤمناً بالله واليوم الآخر.

٦ ـ لقد بنى سداً من أهم وأقوى السدود في العالم.

٧ ـ لقد كان أول كيميائي في العالم.

ولا ريب بأننا إذا رجعنا إلى الآيات الواردة بشأنه وبصورة متمعنة لوجدنا الكثير ولكننا اقتصرنا على القليل.

ذو القرنين عليه السلام من هو؟؟

ذو القرنين عليه السلام شخصية قرآنية تاريخية، أما أنه شخصية قرآنية فلأنه عليه السلام ذكر في القرآن الكريم بشكل صريح جداً وذلك في سورة الكهف، وأما أنه شخصية تاريخية فلأنه ذُكر في القرآن الكريم على أساس أنه كان في الزمن الماضي من جهة، ولأنه كان حاضراً في ثقافة ووجدان اليهود بدليل أنهم سألوا النبي محمد صلى الله عليه وآله عنه.

والبحث عن ذي القرنين عليه السلام، وعن شخصيته عليه السلام، وعن أحواله عليه السلام، وإن لم يكن عنواناً لكتابنا عن «يأجوج ومأجوج»؛ إلا أنه له دخالة مهمة في تحديد هوية «يأجوج ومأجوج» كون ذكرهما قد اقترن به عليه السلام، ومن هنا فإننا نبحث عن أحوال هذه الشخصية الإلهية المعروفة بذي القرنين للوقوف على هويته عليه السلام، وبحثنا عن ذي القرنين عليه السلام ينحل إلى أمور هي:

الأمر الأول: أين ذُكر؟؟

لقد ذُكر عليه السلام في القرآن الكريم وفي الكتب القديمة، وسنذكر هنا بحسب الوجادة مصدرين هما:

الأول: القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[1].

---

(١) سورة الكهف.

الثاني: التوراة، ففي كتاب «دانيال» حيث نقرأ في الفصل الثامن منه ما يلي: «حينما ملك (بل شصّر) عُرضت لي وأنا دانيال بعد الرؤيا الأولى التي شاهدتها، وذلك حينما كنت أسكن قصر (شوشان) في بلاد (عيلام) فقد رأيت وأنا في المنام بأني على مقربة من نهر (أولاي) وأن كبشاً يقف قرب النهر وكان له قرنان طويلان، ووجدته يضرب بقرنيه غرباً وشمالاً وجنوباً، ولم يتقدم أحد أمامه، ولأنه لم يكن يوجد أحد أمامه لذا فإنه كان يتصرف وفقاً لما يريد، وكان يكبر»[1].

وفي نفس الكتاب قال: «وقد تجلى له جبرائيل (أي لدانيال) وفسر منامه هكذا: إن الكبش ذا القرنين الذي رأيته فإنه من ملوك المدائن وفارس (أو ملوك ماد وفارس)...»[2].

الأمر الثاني: إن القرآن لم يذكر شيئاً عن شخصية ذي القرنين عليه السلام من حيث وصفه، واسمه الحقيقي، وزمانه، ومكانه، قال في الميزان في تفسير القرآن: «لم يتعرض لاسمه ولا لتاريخ زمان ولادته وحياته ولا لنسبه وسائر مشخصاته على ما هو دأبه في ذكر قصص الماضين»[3].

وقال سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن: «إن النص لا يذكر شيئاً عن شخصية ذي القرنين ولا عن زمانه أو مكانه، وهذه هي السمة المطردة في قصص القرآن، فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود، وإنما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة»[4].

الأمر الثالث: قصة ذي القرنين في القرآن:

---

(١) كتاب دانيال، الفصل الثامن، الجمل١ ـ ٤).
(٢) الأمثل، مجلد ٩، ص٣٢٧.
(٣) راجع تفسير الميزان.
(٤) ج١٦، ٢٢٨٩.

إن القرآن الكريم وكما يظهر منه «اكتفى على ذكر ثلاث رحلات منه فرحلة أولى إلى المغرب حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة (أو حامية) ووجد عندها قوماً، ورحلة ثانية إلى المشرق حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم يجعل الله لهم من دونها ستراً، ورحلة ثالثة حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض وعرضوا عليه أن يجعلوا له خرجاً على أن يجعل بين القوم وبين يأجوج ومأجوج سداً فأجابهم إلى بناء السد ووعدهم أن يبني لهم فوق ما يأملون وأبى أن يقبل خرجهم وإنما طلب منهم أن يعينوه بقوة وقد أشير عنها في القصة إلى الرجال وزبر الحديد والمنافخ والقطر. والخصوصيات والجهات الجوهرية التي تستفاد من القصة هي:

أولاً: أن صاحب القصة كان يسمى قبل نزول قصته في القرآن بل حتى في زمان حياته بذي القرنين»، ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، و﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾.

وثانياً: أنه كان مؤمناً بالله واليوم الآخر ومتديناً بدين الحق كما يظهر من قوله: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الخ. ويزيد في كرامته الدينية أن قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ يدل على تأييده بوحي أو إلهام أو نبي من أنبياء الله كان عنده يسدده بتبليغ الوحي.

وثالثاً: أنه كان ممن جمع الله له خير الدنيا والآخرة، أما خير الدنيا فالملك العظيم الذي بلغ به مغرب الشمس ومطلعها فلم يقم له شيء وقد ذللت له الأسباب، وأما خير الآخرة فبسط العدل، وإقامة الحق والصفح والعفو والرفق وكرامة النفس وبث الخير ودفع الشر، وهذا كله مما يدل عليه

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ مضافاً إلى ما يستفاد من سياق القصة من سيطرته الجسمانية والروحانية.

ورابعاً: أنه صادف قوماً ظالمين بالمغرب فعذبهم.

وخامساً: ان الردم الذي بناه هو في غير مغرب الشمس ومطلعها فإنه بعدما بلغ مطلع الشمس اتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين. ومن مشخصات ردمه مضافاً إلى كونه واقعاً في غير المغرب والمشرق أنه واقع بين جبلين كالحائطين، وأنه ساوي بين صدفيهما وأنه استعمل في بناءه زبر الحديد والقطر، ولا محالة هو في مضيق هو الرابط بين ناحيتين من نواحي الأرض المسكونة»[1].

الأمر الرابع: ما هو الإسم الحقيقي لذي القرنين عليه السلام؟؟

ذو القرنين عليه السلام معروف بلقبه الذي لُقب به، فهو شخصية معروفة بذي القرنين، أما إسمه فلم يتعرض القرآن لبيانه، ولكن ورد في الروايات تسميته باسمه الحقيقي، ولكنها لا على نحو اليقين بل جميعها على نحو الإحتمال أو الترجيح، كما أنه ورد في التحليلات العلمية والتاريخية ذكرٌ لاسمه ولكنها أيضاً مبنية على التشخيص وقد تصح وقد لا تصح، ومهما يكن من شيء فإن ما ذكر لذي القرنين عليه السلام من أسماء التالي:

١ ـ اسمه «عياش»، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياءً ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح عليه السلام: ذو القرنين وإسمه عياش وداود وسليمان ويوسف، وأما عياش فملك ما بين المشرق والمغرب...»[2]، وقال الجزائري قدس سره في الباب الثامن من كتابه

---

(١) ميزان الحكمة، ج٦، ص٤٢١ ـ ٤٢٢.
(٢) الخصال، ج١، ص٢٤٨.

قصص الأنبياء: «وكان إسمه عياشاً»[1]، وعن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سُئل عن ذي القرنين؟ قال: كان عبداً صالحاً واسمه عياش...»[2].

٢ ـ إسمه عبد الله بن ضحّاك بن معبد، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام، والكافران نمرود وبخت نصر، وإسم ذي القرنين وعبد الله بن ضحاك بن معبد»[3].

٣ ـ الإسكندر أو «اسكندروس»، ففي إكمال الدين بإسناده إلى عبد الله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال: قرأت في بعض كتب الله عزَّ وجل أن ذا القرنين كان رجلاً من الإسكندرية وأمه عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره يقال له «اسكندروس»[4]، وقال الثعلبي في وجه تسميته بذلك أن أمها ـ أم الإسكندر ـ هلالة بنت ملك الروم كانت لها نتن ورائحة كريهة فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها اسكندروس فلما ولدت لها غلاماً فسمته باسم الشجرة التي غسلت بها وهي اسكندروس، ثم خفف فقيل إسكندر[5].

وقد ذُكر في غير واحد من المصادر أنه الإسكندر بن فليقوس اليوناني[6]، إلا أن القدر المتيقن أنه ليس هو الإسكندر ولا أقل من عدم دلالة الأخبار على ذلك، فضلاً عن اضطراب الأقوال التاريخية حول الإسكندر، وسيأتي الكلام مفصلاً عن ذلك.

---

(١) ص١٧٣.
(٢) م.ن، ص١٨٥
(٣) الخصال، ج١، ص٢٥٥.
(٤) قصص الأنبياء، ص١٧٩.
(٥) م.ن.
(٦) م.ن، ١٨٩.

٤ ـ إسمه أبو كرب شمر بن عمير بن افريقش الحميري[١]، وقد دافع عن هذا القول الأصمعي في تاريخ العرب قبل الإسلام، وابن هشام في سيرته، وأبو الريحان البيروني في الآثار الباقية[٢]، وهذه التسمية بعيدة جداً كما لا يخفى لأن ملوك اليمن جميعاً لا تتوافق مواصفاتهم مع الصفات العظيمة لذي القرنين عليه السلام من جهة، كما أنه كان لملوك حمير سد مأرب المغاير تماماً لسد يأجوج ومأجوج المعروف بسد ذي القرنين عليه السلام.

٥ ـ اسمه: الصعب بن قرين بن الهمال[٣]. وهو قول ضعيف.

٦ ـ اسمه هرمس بن حيطون بن رومي بن لنطي بن كسلومين بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام[٤]، وهذا الرأي راجع إلى كونه الاسكندر.

والخلاصة في إسم هذه الشخصية العظيمة الملقبة قرآنياً بذي القرنين أنه يدور حول نقطتين:

النقطة الأولى: أن اسمه «عياش» تبعاً للأخبار والروايات.

النقطة الثانية: أننا نجاري القرآن الكريم حول عدم الوقوف على تسميته.

أما الأقوال الأخرى فهي مجرد تشخيصات وتطبيقات فلا تخرج عن دائرة الإحتمالات ولا تصل نوبتها إلى اليقينيات بل إلى الترجيحات.

الأمر الخامس: لماذا لُقب بذي القرنين؟؟

لماذا لُقب عياش أو غيره بذي القرنين؟؟ قيل في ذلك الكثير من الأقوال ومنها:

---

(١) م.ن، ص١٨٩.
(٢) الأمثل، مجلد ٩، ص٣٢٣.
(٣) المحبر للبغدادي، ص٣٦٥، نقلاً عن قصص الأنبياء.
(٤) م.ن، ص٣٩٣.

الأول: سمي بذلك لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس.

الثاني: سمي بذلك لأن صفحة رأسه ـ بل صفحتا ـ من نحاس.

الثالث: سمي بذلك لأنه كان على رأسه ما يشبه القرنين.

الرابع: أنه كان يحمل تاجاً فيه قرنان.

الخامس: سمي كذلك لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها.

السادس: سمي كذلك لأنه كان له ضفيرتان.

السابع: لأن الله تعالى سخر له النور والظلمة، النور من أمامه والظلمة في ورائه.

الثامن: سمي كذلك لشجاعته لأن الشجاع يلقب بالكبش الذي ينطح اقرانه.

التاسع: سمي كذلك لأنه عليه السلام رأى في منامه كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس وقرنيها أي جانبيها.

العاشر:سمي بذلك لأنه دخل النور والظلمة.

حادي عشر: سمي كذلك للوجه الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال عليه السلام: «كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن فمات، ثم بعثه الله تعالى فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله»[1].

ثاني عشر: أنه سمي كذلك لأنه كريم الطرفين.

الأمر السادس: هل كان ذا القرنين عليه السلام نبياً أم ملكاً أم ماذا؟؟

---

(١) تفسير القمي، ج٢، ص٤١.

هناك نقاش حول شخصيته عليه السلام من جهة كونه نبياً أم ملكاً، أم عبداً صالحاً أم غير ذلك، والأقوال في ذلك أربعة هي:

الأول: أنه عليه السلام من الملائكة وهو قول ضعيف للغاية، ويبتني هذا القول على أنه سمع عمر رجلاً يقول: يا ذا القرنين. فقال: اللهم اغفر، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى تسموا بأسماء الملائكة[1].

وإنما قلنا بأن هذا القول في غاية الضعف لأنه قد يكون هذا الإسم من أسماء الملائكة ولقب به عليه السلام فما هو وجه القول بأن شخصه من الملائكة؟!! كما أنه عليه السلام أعتبر في بعض الأخبار ملكاً من الملوك بموازاة غيره من ملوك البشر، وفي بعض الأخبار عدّ نبياً، وفي بعض الأخبار عدّ عبداً صالحاً.

القول الثاني: أنه عليه السلام كان نبياً من الأنبياء، واستدل على كونه نبياً من الأنبياء بدليلين:

الدليل الأول: وهو دليل مستوحى من القرآن الكريم، وبخصوص الفقرات التالية:

الفقرة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيشمل هذا التمكين التمكين الدنيوي المتحقق بجعل شتى الطاقات والقدرات الداخلية في إطار ما يمكنه عليه السلام من تحقيق أغراضه الإلهية، ويشمل أيضاً التمكين الديني فيكون تمكيناً في النبوة.

ويرد على هذا الدليل بعدة ردود أهمها أنه لا ملازمة بين تمكينه عليه السلام وبين كونه نبياً، فهذا طالوت عليه السلام كان ملكاً وقد مكنّه الله تعالى وزاده بسطة

---

(١) راجع تفسير الرازي، م. س.

في العلم والجسم مع أنه لم يكن نبياً، كما أن قوله عزَّ وجل ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ دليل واضح أن المسألة مرتبطة بالتمكين الإعتيادي المفضي إلى قدرته على تنفيذ أغراضه الإلهية.

الفقرة الثانية: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾، ومن جملة الأشياء النبوة، فمقتضى العموم أي عموم ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ نستفيد شمول النبوة كسبب من جملة الأسباب المأتية له عليه السلام

ويرد على هذا الدليل أيضاً بنفي الملازمة بين إتيانه عليه السلام من كل شيءٍ سبباً وبين النبوة من جهة، وبحمل الأسباب المأتية له عليه السلام من قِبل الله عزَّ وجل على وظيفته الفعلية عليه السلام والتي اقتضت أن يؤتى من كل شيءٍ سبباً.

الفقرة الثالثة: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ فهذه الفقرة دلت على أن الله عزَّ وجل تكلم مع ذي القرنين عليه السلام بواسطة الوحي ومن يوحى إليه فهو نبي.

ولكن يرد على هذا الكلام بأن التكلم هنا مع ذي القرنين عليه السلام هو إلهام من الله عزَّ وجل وليس وحياً وهذا حاصل مع غير واحد كما في قصة أم موسى عليه السلام، كما أن بعضهم احتمل كون أحد الأنبياء عليهم السلام في عصره كان يسدده بالوحي.

الدليل الثاني: على نبوته عليه السلام الروايات والأخبار الواردة في هذا الصدد فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: فإن الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح عليه السلام: ذو القرنين واسمه عياش وداود وسليمان ويوسف...»[1].

---

(١) علل الشرائع، ص٥٥٤.

قال الصدوق رحمه الله: جاء في الخبر هكذا، والصحيح الذي اعتقده في ذي القرنين أنه لم يكن نبياً... وذو القرنين ملك مبعوث وليس برسول ولا نبي، كما أن طالوت ملكاً. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[1] وقد يجوز أن يذكر في جملة الأنبياء من ليس بنبي، كما يجوز أن يذكر من الملائكة من ليس بملك...»[2]، وقال أحد الأعلام: «والظاهر من الأخبار أيضاً أنه لم يكن نبياً»[3].

القول الثالث: أنه عليه السلام كان ملكاً من الملوك، ويعتضد هذا القول بالأخبار الواردة في المقام، ففي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياءً ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح عليه السلام: ذو القرنين واسمه عياش وداود وسليمان ويوسف، وأما عياش فملك ما بين المشرق والمغرب...»[4]، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران؛ فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام...»[5].

القول الرابع: أنه عليه السلام كان عبداً صالحاً، ولم يكن ملكاً ولا نبياً، فقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ فقال: لا ملكاً ولا نبياً بل عبداً أحب الله فأحبه الله، ونصح لله فنصح له، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن فغاب عنهم، ثم بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم، ثم بعثه الثالثة، فمكن الله له في الأرض[6]، ومن هنا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.
(٢) الخصال، ج١، ص٢٤٨.
(٣) قصص الأنبياء، ص١٩٢.
(٤) الخصال، ج١، ٢٤٨.
(٥) الخصال، ج١، ص٢٥٥.
(٦) تفسير القمي، ج٢، ص٤١.

استظهر بعض الاعلام كونه كان عبداً صالحاً لا ملكاً ولا نبياً[1].

الأمر السابع: النظرية الصحيحة في شخصية ذي القرنين عليه السلام؟؟

لقد اختلف جمع من الأعلام حول شخصية العبد الصالح والناصح والمعروف بذي القرنين، واختلافهم من جهة انطباق أوصافه على شخصيات تاريخية اشتهر وجودها على مسرح الحياة، ومن هنا فإن الأقوال حول شخصية ذو القرنين عليه السلام متعددة ومنها:

الأول: أنه الاسكندر بن فليقوس اليوناني قالوا: والدليل عليه أن القرآن دلّ على أن الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه المشرق والمغرب، ومثل ذلك الملك... لا شك أنه على خلاف العادة وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلداً على وجه الأرض وأن لا يبقى خفياً مستتراً والملك الذي اشتهر في كتب التواريخ: أنه بلغ ملكه إلى هذا القدر ليس إلا الإسكندر وذلك أنه لما مات أبوه، جمع ملك الروم بعد أن كانت طوائف، ثم حصد ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر، ثم عاد إلى مصر وبنى الإسكندرية باسم نفسه، ثم دخل الشام وقهر بني اسرائيل، ثم انعطف إلى العراق ودان له أهلها، ثم توجه إلى دارا وهزمه مرات إلى أن قتله واستولى الإسكندر على ملوك الفرس وقصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع إلى العراق ومرض بسهرورد ومات بها.

فلما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين ملك الأرض كلها وثبت بعلم التواريخ أن الذي هذا شأنه ما كان إلا الاسكندر وجب القطع بأن المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فليقوس اليوناني»[2].

---

(١) قصص الأنبياء، ص١٩٢.

(٢) قصص الأنبياء، ص١٨٩.

وليعلم بأنه قد ورد في التواريخ عن البعض قوله أن الإسكندر المقدوني لم يعمر أكثر من (٣٦) سنة، أما جسده فقد ذهبوا به إلى الإسكندرية ودفنوه هناك[١].

وهذا القول بالحقيقة لا يمكن القبول به لعدة اعتبارات، أهمها أن الاسكندر المقدوني ليس بعيداً من حيث الزمان عنا بخلاف البعد الزمني الذي يفصلنا عن ذي القرنين عليه السلام، حيث أنه جاء بعد النبي نوح عليه السلام كما ورد في الأخبار، كما أن المواصفات القرآنية لذي القرنين عليه السلام لا تنطبق على الإسكندر المقدوني بالكلية.

قال أحد الأعلام: المستفاد من الأخبار كما قال شيخنا المحدث: أنه غير الإسكندر وأنه كان في زمن إبراهيم عليه السلام وأنه أول الملوك بعد نوح عليه السلام»[٢].

وقد أشكل أحدهم على كونه الإسكندر المقدوني باشكال مفاده: أن الإسكندر المقدوني كان تلميذاً لارسطوطاليس وعلى هذا فمدح الله عزَّ وجل لذي القرنين أي الإسكندر يستلزم مدحاً لأرسطوطاليس ولمذهبه وهذا مما لا سبيل إليه.

ويرد على هذا الإشكال إن كون الإسكندر هو الذي عُرف قرآنياً بذي القرنين؛ هو تلميذ لارسطوطاليس لا يمنع من كونه ممدوحاً ومعظماً عند الله عزَّ وجل سيما وأنه كان عبداً صالحاً، كما أشار، وإذا تفحصنا قضية أرسطوطاليس فلربما تلمسنا توحيده وسيره على المنهج الحق.

على أن نفينا لكون الاسكندر هو ذو القرنين عليه السلام ليس لأجل أن أستاذه

---

(١) الأمثل، ص٣٢٣.

(٢) قصص الأنبياء، ص١٩٢.

هو أرسطوا طاليس بل لأجل أنه لا تنطبق عليه المواصفات القرآنية.

الثاني: البعض يعتقد أن ذا القرنين كان أحد ملوك اليمن (كان ملوك اليمن يسمون بـ«تبّع» وجمع ذلك «تبابعة») وقد دافع عن هذه النظرية الأصمعي في تاريخ العرب قبل الإسلام، وابن هشام في تاريخه المعروف بسيرة ابن هشام، وأبو ريحان البيروني في الآثار الباقية.

ويمكن لنا أن نلمح في شعر شعراء (الحميرية) وهم من أقوام اليمن، وبعضاً من شعراء الجاهلية تفاخر بكون ذي القرنين من قومهم»[1].

قال أبو الريحان البيروني: «ويشبه أن يكون هذا القول أقرب، لأن الأذواء ـ أي الملوك الذين كان في صدر ألقابهم «ذو» ـ كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلوا أساميهم من ذي، كذي المنار وذي نواس وذي النون»[2].

وعلى هذا فيكون إسم الملقب بذي القرنين هو: أبو كرب شمر بن عمير بن افريقش الحميري[3].

ووفقاً لهذا القول فيكون سد ذو القرنين هو سد مأرب.

ولكننا لا نستطيع القبول بهذا القول فإن مواصفات العبد الصالح المعروف بذي القرنين عليه السلام الموجودة في القرآن لا تنطبق على ملوك حمير المعروفين بمواصفاتهم التي لا ترقى لتلك التي كان يتحلى بها ذو القرنين عليه السلام، كما أن السد أي سد يأجوج ومأجوج هو معمول من حديد ونحاس وسد مأرب معمول بالحجارة والباطون، كما أن الغاية من سد يأجوج ومأجوج هي لمنع الأقوام الهجمية من الإفساد فيما الغاية من سد

---

(١) الأمثل، مجلد٩، ص٣٢٣.
(٢) قصص الأنبياء، ص١٩.
(٣) م.ن.

مأرب هي لاحتجاز الماء ومنعها من الغور تحت الأرض.

الثالث: هو ما ذهب إليه المفكر الإسلامي (أبو الكلام زاد) والذي كان يشغل منصب وزارة الثقافة في الهند، ومحصل كلامه: أن ذا القرنين هو «كورش الكبير» الملك الأخميني[1].

ومما يؤيد أن ذا القرنين هو كورش الكبير أنه ووفقاً للعديد من «الروايات الواردة في سبب نزول هذه الآيات ـ أي الآيات النازلة في ذي القرنين عليه السلام ـ فإن الذي سأل عن ذي القرنين هم قوم من اليهود، أو أن قريشاً قامت بالأمر بتحريض من اليهود، ولذا يجب العثور على أصل هذا الموضوع في كتب اليهود.

ومن الكتب المعروفة عند اليهود هو كتاب «دانيال» حيث نقرأ في الفصل الثامن منه ما يلي: «حينما ملك (بل شصر) عرضت لي وأنا دانيال بعد الرؤيا الأولى التي شاهدتها، وذلك حينما كنت أسكن قصر (شوسان) في بلاد (عيلام) فقد رأيت وأنا في المنام بأني على مقربة من نهر (أولاي) وأن كبشاً يقف قرب النهر وكان له قرنان طويلان، ووجدته يضرب بقرنيه غرباً وشمالاً وجنوباً، ولم يتقدم أحد أمامه، ولأنه لم يكن يوجد أحد أمامه لذا فإنه كان يتصرف وفقاً لما يريد، وكان يكبر[2].

وبعد ذلك نُقل عن دانيال في هذا الكتاب قوله: «وقد تجلى له جبرائيل (أي لدانيال) وفسر منامه هكذا: إن الكبش ذا القرنين الذي رأيته فإنه من ملوك المدائن وفارس (أو ملوك ماد وفارس)... ولم تمضي مدة طويلة حتى ظهر (كورش) على مسرح الحكم في إيران ووحّد بلاد (ماد وفارس)

---

(١) الأمثل.

(٢) كتاب دانيال، الفصل الثامن، الحمل (١ ـ ٤).

وشكّل منهما مملكة كبيرة، وكما قال دانيال، فإن الكبش كان يضرب بقرنه الغرب والشرق، فإن كورش قد قام بالفتوحات الكبيرة في الجهات الثلاث وحرّر اليهود وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين والطريف ما نقرأه في التوراة في كتاب «أشعيا» فصل (٤٤) رقم (٢٨) «ثم يقول بخصوص كورش: إنه كان راعياً عندي (أي عند الرب) وسيقوم بتنفيذ مشيئتي».

يجب الإنتباه إلى أن وصف كورش ورد في بعض تعبيرات التوراة على أنه «عقاب المشرق» والرجل المدبر الذي يأتي من مكان بعيد»[١].

وقد وردت هذه التعبيرات في (أشعيا فصل ٤٦، رقم ١١)[٢].

ومن هنا فسؤال اليهود الموجه إلى النبي ﷺ عن ذي القرنين عليه السلام يقتضي أن يكونوا قد أخذوا العلم بوجود ذي القرنين عليه السلام من التوراة أو مما بقي سليماً من التوراة، ولما أن ذكر كورش في التوراة أو فيما بقي سليماً منه جاء بشكل متطابق مع ما فعله المعروف بذي القرنين عليه السلام وقام به، وسيما رحلاته المشهورة إلى الشرق، والغرب، فإنه يرجح كونه عليه السلام هو (كورش الكبير) ولاسيما أنه وصف بأنه المنفذ لمشيئة الله عزَّ وجلَّ.

وقد تبنّى هذه النظرية صاحب تفسير «الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل» حيث استند إلى كلام (أبو الكلام زاد)، وإلى وقائع حسية.

وهذه النظرية جديرة بالاهتمام فلتراجع.

---

(١) الأمثل، مجلد ٩، ص٣٢٦.

(٢) م.ن.

يأجوج ومأجوج من هم؟؟

يأجوج ومأجوج ظاهرة سلبية وإفسادية، ومدمرة وخطرة، وقد تعامل أهل التحقيق مع هذه الظاهرة على توجهين:

التوجه الأول: اعتبر يأجوج ومأجوج ظاهرة بشرية، فهم من صنف البشر، وهم توالدوا وتكاثروا باعتبارهم بشراً، وهذا التوجه ومع اعتباره يأجوج ومأجوج من البشر إلا أنه انحل إلى قولين:

القول الأول: أن يأجوج ومأجوج من صنف البشر من جميع الجهات ولهذا قالوا بأن يأجوج ومأجوج هم من ولد يافث بن نوح أب الترك[1].

القول الثاني: أن يأجوج ومأجوج هم من البشر ولكن لا من جميع الجهات، ويدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج»[2].

ولا ندري ما مراده عليه السلام ولهذا الكلام تأويلات عديدة سيأتي تفصيلها في البحوث الآتية.

---

(١) مجمع البيان، وتفسير شبر، ومعظم التفاسير.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، مجلد ٦، ص٢٨٦.

نعم ورد عن كعب تفصيل ما في هذا المجال حيث قال في وصف يأجوج ومأجوج: «هم نادرة من ولد آدم، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج، فهم متصلون بنا من طرف الآب دون الأم».

وهذا الكلام ضرب من الخيال وهو بعيد كل البعد عن الواقع اللهم إلا إذا قلنا بأن الله عزَّ وجل خلق من المخلوقات أربعة أجناس:

١ ـ الإنسان حيث خلقه من تراب.

٢ ـ الملائكة وهم من النور.

٣ ـ الجن وهم من نار.

٤ ـ يأجوج ومأجوج وهم من ماء وتراب.

ولكن بُعد هذا القسم الأخير عن الحقيقة من أوضح الواضحات، ومن هنا فإن تفسير قول أمير المؤمنين عليه السلام بأن الناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج» بما فصله كعب لا يمكن المصير إليه.

أما كلام أمير المؤمنين عليه السلام حول أولاد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج، فإنه ظاهر في عدم كون يأجوج ومأجوج من ولد آدم، إلا أن قوله عليه السلام يوحي بأن يأجوج ومأجوج من الناس، وهنا يأخذ التأويل محله في هذا الصدد لفهم ملابسات الحديث عنه عليه السلام. فهل هم من البشر ولكن لا من آدم وحواء؟؟ أم هم، تعبير مجازي عن ظاهرة مادية أو غير ذلك؟؟ هذا ما سنلاحظه بعد حين.

التوجه الثاني: اعتبر يأجوج ومأجوج ظاهرة غير بشرية، وعمدة هذا التوجه تأويل معنى يأجوج ومأجوج إلى معنىً يتطابق مع طبيعة الحركة الإفسادية ليأجوج ومأجوج وذلك انطلاقاً من ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: عدم البرهنة بنحو تحقيقي وجداني على وجود السد في عالم أضحى لا يخفى على أهله خافية.

النقطة الثانية: حديث أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «الناس ولدم آدم ما خلا يأجوج ومأجوج»[1].

النقطة الثالثة: الروايات التي وصفت يأجوج ومأجوج، حيث أنها وصفتهم بوصفٍ لا يفهم منه بشريتهم.

لأجل ذلك كان هذا التوجه سائراً نحو تأكيد عدم بشرية يأجوج ومأجوج وبالتالي هو سائر لقول آخر.

---

(١) البرهان، مجلد ٦، ص٢٨٦.

النظريات الواردة بشأن يأجوج ومأجوج

ومهما يكن من شيء فإن النظريات الواردة بشأن يأجوج ومأجوج متعددة، وبعضها تتبنى القول بأنهم بشر، وبعضها الآخر تتبنى كونهم غير بشر، وبعض هذه النظريات تقول بأنهم ـ أي يأجوج ومأجوج ـ خرجوا من السد، وبعضها تقول لم يخرجوا، وعلى جميع الحالات فإن النظريات الواردة حول يأجوج ومأجوج هي التالية:

١ ـ النظرية الأولى

وهي نظرية تقليدية تعتمد على ما ورد في القرآن الكريم، وفي الأحاديث والروايات.

فيأجوج ومأجوج من ولد يافث بن نوح أب الترك، وهم كثرة كاثرة، وهم أصناف مختلفة، وبطشهم وفسادهم منقطع النظير ولا يتصوره أحد، وهؤلاء كانوا في عصر ذي القرنين عليه السلام، ولما أنه عليه السلام قد صنع سداً وحجزهم فيه فإنهم يحاولون كرات ومرات تجاوز هذا السد، وسيندك السد يوماً وينهدم ويخرجون للإفساد والبطش مرة أخرى، ثم يموتون بفعل دود خاص، ومن خصائص يأجوج ومأجوج:

١ ـ الكثرة الكاثرة: فهم يتوالدون ويتكاثرون، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه»[١].

٢ ـ الإفساد في الأرض: قال تعالى حكاية عن قوم المضيق الجبلي: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[٢]، وجاء في الحديث أنهم لا «يمرون بشيء إلا أكلوه... يشربون أنهار المشرق والمغرب»[٣]، وجاء في

---

(١) قصص الأنبياء، ص١٩٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٤.
(٣) قصص الأنبياء، ص١٩٢.

حديث آخر: «فينشفون المياه، فيتحصن الناس في حصونهم فراراً منهم فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء»[1]، وجاء في مجمع البيان: «وفسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم، ويأكلون لحومهم ودوابهم. وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع، فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه»[2].

ومن هنا فإن فساد يأجوج ومأجوج يشمل كل من:

أ ـ الناس: «أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم» أي يقتلون الناس.

ب ـ الحيوانات.

جـ ـ الأشجار والثمار.

د ـ المياه والأنهار.

٣ ـ ملء المساحات الجغرافية فقد جاء في الحديث أن «مقدمتهم بالشام ومؤخرتهم بخراسان»[3].

٤ ـ أنهم يحملون السلاح، وفي الحديث: «كل قد حمل السلاح»[4].

٥ ـ أنهم أصناف مختلفة: وفي الحديث «هم ثلاثة أصناف:

أ ـ صنف منهم أمثال الأرز ـ وهو شجر معروف.

ب ـ وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد.

جـ ـ وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى»[5].

---

(١) م.ن، ص١٩٣.
(٢) مجمع البيان، ص٣٨٧.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.
(٥) قصص الأنبياء، ص١٩٢.

٦ ـ أنهم قادرون على أكل أضخم الحيوانات بعد قتلها، وفي الحديث: «ولا يمرون بفيل ولا وحش، ولا حمل، ولا خنزير إلا أكلوه»[١].

٧ ـ أنهم يأكلون بعضهم بعضاً: وفي الحديث: «ومن مات منهم أكلوه»[٢].

٨ ـ أنهم لا يتسنى لهم دخول مكة والمدينة وبيت المقدس كما ورد[٣].

٩ ـ أن موتهم يستند إلى دخول بعض أقسام الدود، وفي الحديث «فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم، فتدخل في آذانهم فيهلكون بها»[٤].

والنغف هو دود يسقط من أنوف الإبل والغنم، وقيل: دود أبيض يكون في النوى»[٥].

١٠ ـ أنهم عندما يموتون تأكلهم الدواب وتسمن وتسكر من لحومهم[٦].

وورد أن بعضهم صغير الجثة وقصير القامة، وبعضهم ضخم الجثة وطويل القامة، وهذه هي أهم خصائص يأجوج ومأجوج كما وردت في الآيات والأخبار، كما أنه لا يخفى علينا بأن يأجوج ومأجوج حجزوا بواسطة السد، أما أنهم خرجوا أم لم يخرجوا فهذا نقاشه سيأتي وفق النظريات القادمة، ووفق عنوان مستقل سيجيء.

---

(١) مجمع البيان، ص٣٨٧.
(٢) م.ن.
(٣) تفسير الرازي، ج٢١، ص٥٠٠.
(٤) قصص الأنبياء، ص١٩٣.
(٥) م.ن.
(٦) م.ن.

مضافاً إلى ما ذكر فهل أن يأجوج ومأجوج أمتان مفترقتان أم متحدتان؟؟ ظاهر بعض الأحاديث والأقوال أنهما مفترقتان وفي الحديث «يأجوج أمة ومأجوج أمة»[1]، وورد في كتاب تفسير الرازي: «يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم»[2]، وبعضهم فسر يأجوج بالتتار، ومأجوج بالمغول»[3].

ولكن حتى مع القول بأنهما من أصناف مختلفة إلا أنهما كما ورد في كثير من الآراء من ولد يافث بن نوح، وأنهما من أصل واحد أي من الترك، ولا يراد بالترك هنا الأتراك المعروفين، بل الترك قبائل متعددة في بلاد نائية سيجيء الكلام عن مواضعها في عنوان مستقل.

ولا ينبغي الغفلة هنا أن يأجوج إذا كانت مغايرة لمأجوج وبالعكس فإن سيرهما واحد، وحجزها داخل السد متحد، وخروجهما متقارن، وطبيعتهما واحدة، بل حتى طريقة موتهما واحدة، ومن هنا فالكلام عن أن يأجوج متحدة مع مأجوج أم لا، لا فائدة من الإطالة به.

وعوداً على بدء فإن النظرية الأولى حول يأجوج ومأجوج تقتصر في نظرتها لهما على ظاهر الآيات القرآنية، وعلى تصديق ما ورد في الأحاديث دون التحليل والتشخيص، ومحاولة التطبيق.

ومن هنا قال في ظلال القرآن: «وبعد فمن يأجوج؟ وأين هم الآن؟ وماذا كان من أمرهم وماذا سيكون؟ كل هذه أسئلة تصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق، فنحن لا نعرف عنهم إلا ما ورد في القرآن، وفي بعض

---

(١) م.ن.
(٢) تفسير الرازي، ج٢١، ص٥٠٠.
(٣) التفسير الكاشف، ج١٦، ص١٥٩.

الأثر الصحيح»[1]، وقال في حق اليقين على إثر ذكر يأجوج ومأجوج وخروجهما: «فينبغي الإيمان بذلك وبخروجهم إجمالاً ولا يتفحص عن الخصوصيات»[2].

بل لا شك في أن أكثر الذين فصلوا وأسهبوا في الحديث عن يأجوج ومأجوج، وانطباقهما على شعوب متأخرة عنا زماناً؛ قالوا في نهاية المطاف: إن هذا الكلام على سبيل الترجيح أو الإحتمال لا على سبيل التحقيق.

---

(١) ج١٦، ص٢٢٩.
(٢) ج٢، ص١٤٣.

٢ ـ النظرية الثانية

وهي نظرية قائمة على أساس إنطباق يأجوج ومأجوج على قبائل المغول والتتار، وبناءً على هذه النظرية فإن يأجوج ومأجوج قد خرجا وقد جاء الوعد الحق وذلك قبل قيام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وقبل قيام الساعة كما لا يخفى، وهذه النظرية رجحها العلامة الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره المعروف بالتفسير الكاشف حيث نقل عن المراغي كلاماً في هذا المجال ثم أنه مال إليه في خاتمة المطاف على نحو الترجيح لا اليقين، قال قدس سره: «قال الشيخ المراغي في تفسيره: «يأجوج هم التتر، ومأجوج المغول، وأصلهما من أب واحد يسمى (ترك) وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى البحر المتجمد، ومنهم جنكيزخان وهلاكو» ثم نقل المراغي عن مجلة المقتطف لسنة ١٨٨٨ أن سد ذي القرنين يقع وراء جيحون في عمالة بلخ واسمه الآن باب الحديد، وهو بمقربة من مدينة ترمذ، وأن العالم الألماني «سيلد برجر» ذكره في رحلته التي كانت في أوائل القرن الخامس عشر، وأيضاً ذكره المؤرخ الإسباني «كلافيجو» في رحلته سنة ١٤٠٣... (فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء) ضمير جعله للسد، ودكاء أي مستوياً مع الأرض والمعنى أنه متى دنا الوقت الذي يخرج منه يأجوج ومأجوج من وراء السد هيأ الله أسباب هدمه وزواله ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ لا ريب فيه، قال الشيخ المراغي: «وقد جاء وعده تعالى بخروج جنكيز خان

وسلائله فعاثوا الأرض فساداً». وفي تفسير الرازي أن وعد الله هنا يوم القيامة، وفي تفسير الطبرسي أن هذا الوعد يأتي بعد قتل الدجال، أما نحن - والكلام للشيخ مغنية«قده» - فنميل إلى قول المراغي لأنه أقرب إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ فإنا نفهم منه أن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض بعد خراب السد، ويفسدون على الناس حياتهم، قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1]. هذا؛ إلى أنه لو كان المراد بمجيء وعده تعالى يوم القيامة أو بعد الدجال لكان السد موجوداً الآن كما هو.. ومن الواضح أنه لو كان لبان، بخاصة وقد جعل العلم الكرة الأرضية وسكانها أشبه بالأسرة الواحدة يضمها بيت واحد... وبعد، فإن الذي قلناه عن يأجوج ومأجوج، أو نقلناه عن الغير إنما هو على التقريب، لا على التحقيق، لأنّا لم نجد مصدراً يُركن إليه، من أجل هذا نكتفي بما دل عليه ظاهر القرآن الكريم، وتترك التفاصيل إلى غيرنا»[2].

وقد أيّد هذا الكلام ما ورد في كتاب الأمثل حيث قال: «ثمّ أدلة تاريخية على أن منطقة شمال شرقي الأرض في نواحي «مغولستان» كانت في الأزمنة السابقة كثيفة السكان، إذ كانت الناس تتكاثر بسرعة، وبعد أن ازداد عددهم اتجهوا نحو الشرق أو الجنوب، وسيطروا على هذه الأراضي وسكنوا فيها تدريجياً.

وقد وردت مقاطع تأريخية مختلفة لحركة هؤلاء الأقوام وهجماتهم، وقد تمت واحدة من هذه الهجمات في القرن الرابع الميلادي تحت قيادة «آتيلا» وقد قضت هذه الهجمة على حضارة الأمبراطورية الرومانية.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.
(٢) ج١٦، ص١٦٠.

وقد كان آخر مقطع تأريخي لهجومهم في القرن الثاني عشر الميلادي بقيادة جنكيز خان حيث هاجم شرق البلاد الإسلامية ودمّر العديد من المدن، وفي طليعتها مدينة بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، وفي عصر كورش في حوالي عام (٥٠٠) قبل الميلاد قامت هذه الأقوام بعدة هجمات، ولكن موقف حكومة «مادوفارس» إزاءهم أدى إلى تغيير الأوضاع واستتباب الهدوء في آسيا الغربية التي نجت من حملات هذه القبائل.

وبهذا يظهر أن يأجوج ومأجوج هم من هذه القبائل الوحشية حيث طلب أهل القفقاز من «كورش» عند سفره إليهم أن ينقذهم من هجمات هذه القبائل، لذلك أقدم على تأسيس السد المعروف بسد ذي القرنين»[١].

ونلاحظ مما ورد أعلاه أن يأجوج ومأجوج هم أجداد المغول والتتار، وأن جنكيز خان متحدر منهم، كما أن هذا الكلام مبني على أساس أن كورش الكبير هو بعينه تلك الشخصية الإلهية المعروف بذي القرنين، ولكن هذا الكلام يحتاج إلى دليل يعين عليه ولا دليل سوى حشد مجموعة من الإحتمالات احتملها أبو الكلام زاد ورجح قوله وأيده صاحب تفسير الأمثل ومن هنا قال في ظلال القرآن: وإذن فمن الجائز أن يكون السد قد نتج في الفترة ما بين «اقتربت الساعة» ويومنا هذا، وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي انسياح يأجوج ومأجوج»[٢].

ومهما يكن من شيء فإن هذه النظرية تبنت كون يأجوج ومأجوج من البشر من جهة، ومن المغول والتتار أجداداً وأحفاداً من جهة أخرى.

---

(١) مجلد ٩، ص٣٣١ ـ ٣٣٢.
(٢) ج١٦، ٢٢٩٣.

٣ ـ النظرية الثالثة

وهي نظرية قائمة على أساس الفهم الرمزي للروايات الواردة بشأن يأجوج ومأجوج باعتبار أن هذه الروايات لا يمكن الأخذ بها صراحة من جهة اضطرابها، ومداليلها الخاطئة وما شاكل.

وهذه النظرية بالحقيقة تفسر ظاهرة يأجوج ومأجوج بالظاهرة المادية من خلال استيحاء رمزية الروايات لا الأخذ بصراحتها، والقائل بهذه النظرية الشهيد السعيد السيد محمد صادق الصدر قدس سره، فقد قال تحت عنوان يأجوج ومأجوج ما نصه: «وهذا ما ورد الإخبار عنه في القرآن الكريم، في أكثر من موضع... وتطاحنت التفاسير فيه، حتى لم تكد ترسو على أمر مشترك.... وقد ذكر في السابق شيئاً من الأخبار عن يأجوج ومأجوج، وتكلمنا عما إذا كان القرآن الكريم بضمه إلى الأخبار دالاً على تقدم خروج يأجوج ومأجوج على الظهور ـ أي ظهور المهدي«عج» ـ، ولم نستطع أن نتميز ظهور القرآن في ذلك، بات الأمر محتملاً غير قابل للإثبات التاريخي، وإن كان محتملاً جداً.

وقد روينا هناك ما أخرجه مسلم، نكرر منه هذه الفقرة.

«ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمرة، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا أهل الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة بالدم».

وأخرج ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ، قال: «تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[1] فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون، حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، حتى إنهم ليمرون بالنهر فيشربونه، حتى ما يذرون فيه شيئاً فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء.

ويظهرون على الأرض، فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، ولننازل أهل السماء، حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم، فيقولون: قد قتلنا أهل السماء.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله دواب كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم، فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً.

فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حساً، فيقولون: من رجل يشتري نفسه وينظر ما فعلوا؟ فينزل منهم رجل قد وطّن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى، فيناديهم: ألا أبشروا، فقد هلك عدوكم، فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكر عليها، كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط.

وأخرج الصحيحان وغيرهما بالإسناد عن زينب بنت جحش قالت: إن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد سفيان بيده عشرة، قالت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث».

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، جوّد سفيان هذا الحديث.

وأخرج أبو داود بإسناده عن حذيفة الغفاري في حديث قال فيه: فقال رسول الله ﷺ: لن تكون أو لن تقوم الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات: . . . وعدّ منها: خروج يأجوج ومأجوج».

وينبغي أن نتكلم حول هذه الأخبار في عدة نواحي:

الناحية الأولى: أنه لا يمكننا الأخذ بالدلالة (الصريحة) لهذه الأخبار الذي يعين علينا الالتزام بالفهم (الرمزي) لها، وذلك لوجود عدة موانع عن الأخذ بصراحتها، نذكر منها ما يلي:

المانع الأول: وجود التهافت بين بعض مدلولاتها، الأمر الذي يسقطها عن قابلية الإثبات للتاريخ.

فإن الخبر الذي أخرجه مسلم ورويناه في السابق[1]، يدل على وجود نبي الله عيسى إبن مريم عليه السلام بين المسلمين عند انتشار يأجوج ومأجوج، وقد أعرضت عنه سائر الأخبار الأخرى، فتكون دالة على عدم وجوده، لأن وجوده ليس بالواقعة البسيطة التي يمكن إهمالها.

---

(١) خبر مسلم الذي أخرجه ذكر فيه الدجال ونزول عيسى عليه السلام هو التالي: فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يُدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ثم يمر آخرهم، فيقولون: لقد كان في هذا ماء مرة. «ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، ويرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة».
ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر، إلا ملأه زهمهم ونتنهم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.
ثم يرسل الله مطراً لا يُكبُّ منه بيت قدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك. . . (ج٢، ١٣٥٦).

كما أن ذاك الخبر دال على أن زوال يأجوج ومأجوج كان بدعاء المسيح وأصحابه، وأن إزالة جثثهم كان بدعائه أيضاً، والأخبار الأخرى خالية عن ذلك، ويدل خبر إبن ماجة على أنهم يهلكون بإرادة مباشرة من الله عزَّ وجلَّ.

كما أن خبر مسلم متضمن لوجود المطر الذي يغسل الأرض من نتنهم بعد زوال جثثهم... وهذا ما سكتت عنه الأخبار الأخرى، واعتبرته كأنه لا حاجة إليه.

كما أن خبر مسلم دال على أن الطير تنقل الجثث إلى حيث يشاء الله، ولكن خبر إبن ماجة دال على أن الأغنام تأكل لحومها فتشكر عليها أي تسمن أحسن من أكلها للنباتات.

المانع الثاني: قيام عدد من الحوادث في نقل هذه الأخبار على المعجزات، بشكل يتنافى مع (قانون المعجزات) الذي تم البرهان عليه في محله.

منها: موت يأجوج ومأجوج فجأة بطريق إعجازي، وهذا غير ممكن في قانون المعجزات، فإن أسلوب الدعوة الإلهية ـ كما قلنا ـ قائم على مقابلة السلاح بالسلاح، وتحصيل النصر بالكفاح، لا عن طريق المعجزات.

وبتعبير آخر: إن كل ما يمكن حصوله بالطريق الطبيعي مهما كان صعباً وبعيداً، لا تقوم المعجزة لتحصيله، ومن الواضح أن تربية وتأديب يأجوج أو مأجوج، أو استئصالهم إذا لم يتأدبوا أمر ممكن بالطريق الطبيعي.
ومنها: إزالة آثار نتن الجثث بطريق إعجازي، بشكل وآخر، وإن اختلفت الأخبار في أسلوبه، ومن الواضح إمكان التنظيف بالطريق الطبيعي.

ومنها: افتراض أكل الماشية للحم، وهو أمر غريب ولا مبرر له في قانون المعجزات، ويزيد غرابة استفادتهم الصحيحة من أكل اللحم أكثر من ذلك النبات.

ومنها: ما ذكر من تصرفات يأجوج ومأجوج أنفسهم، كشربهم بحيرة طبرية حتى تجف كما في خبر مسلم، أو شربهم من النهر حتى يجف كما في خبر ابن ماجة، فإن هذا مما لم يتضح فهمه، مهما زاد عددهم وطال بقاؤهم، ومهما طالت أجسامهم كما تقول الأساطير.

ومنها: إرسالهم السهام إلى السماء لأجل غزوها... وليس في هذا غرابة إذا كانوا أغبياء إلى هذه الدرجة... وإنما الغرابة في أن تعود السهام مكسوة بالدم من أجل إلهامهم بأنهم قد قتلوا الناس الموجودين في السماء... فإنه من الأساطير التي لا يمكن أن يكون لها أي مبرر، فضلاً عن موافقته لقانون المعجزات.

هذا ولكن أغلب هذه الأشياء ستصبح حقائق عند دمجها في تكوين متكامل من الفهم الرمزي، على ما سنذكر بعد قليل، ومعه تصبح هذه الإعتراضات واردة على الفهم التقليدي لمثل هذه الأخبار، لا للمقاصد الحقيقية منها.

الناحية الثانية:

في عرض أطروحة متكاملة لفهم يأجوج ومأجوج، منطلقة عن (الفهم الرمزي للأخبار).

مرّت البشرية بحسب ما هو المقدر لها في التخطيط الإلهي العام، بشكلين منفصلين من الإيديولوجية.

الشكل الأول: الإتجاه الذي ينفي ارتباط العالم بخالقه بالكلية، ونستطيع أن نسميه بالمادية المحضة أو الإلحاد التام.

الشكل الثاني: الإتجاه الذي يربط العالم بخالقه بشكل وآخر.

ولكل من هذين الإتجاهين فروعه وانقساماته التي تختلف باختلاف المستوى العقلي والحضاري للمجتمع البشري.

ويمكن القول بأن تاريخ البشرية على طوله عاش في الأعم الأغلب الإتجاه الثاني بمختلف مستوياته، نتيجة لجهود الأنبياء وتربية الصالحين، ومهما فسد المنحرفون والمصلحيون فإنهم لم يخرجوا عن الإعتراف الغامض بالخالق الحكيم، ويكفينا مثالاً على ذلك قوله تعالى على لسان مشركي قريش: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1] فهم بالرغم من تطرفهم في الكفر، مؤمنون بالخالق، ومن ثم مندرجون في الاتجاه الثاني وعلى هذا الغرار.

يقابل ذلك، الإتجاه الأول الرافض لوجود الخالق تماماً... والمعطي زمام القيادة الإنسانية بيد نفسه بالرغم من قصوره وتقصيره ولم يوجد على مر التاريخ لهذا الإتجاه وجود مهم، فيما عدا الأفكار الشخصية المتفرقة في التاريخ... ما عدا مرتين فيما نعرف:

المرة الأولى: اتجاه المادية البدائية، المتمثلة بشكل رئيسي في قبائل يأجوج ومأجوج.

المرة الثانية: اتجاه المادية الحديثة المعاصرة بمختلف اشكالها وألوانها وقد كان المد المادي الأول خطراً وبالغ الضرر على ذوي الإتجاه الثاني

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

عموماً، وبخاصة تلك الشعوب الصالحة المتبعة لدعوات الأنبياء ولعل القسط الأهم من الضرر لم يكن هو الإفساد العقيدي وإن كان هذا موجوداً من أولئك الملحدين البدائيين... وإنما الأهم من أشكال الضرر هو الضرر الإجتماعي والاقتصادي وأشكال القتل والنهب الذي كان توقعه القبائل البدائية الملحدة على المجتمع المؤمن.

ومن هنا خطط الله تعالى للقضاء الحاسم على هذا المد الواسع، بايجاد قائد كبير ذي حركة عالمية وقدرة واسعة، وممثل لأفضل أشكال الإتجاه المؤمن، هو الإسكندر ذو القرنين[1].

وقد شكا المجتمع المتضرر لهذا القائد من حملات أولئك البدائيين: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾[2] أي أجرة، لكي تكفينا شرهم وتكسر شوكتهم. وقد استطاع هذا القائد الكبير أن يعلن دعوة الله في الأرض، ويحصر نشاط ذلك المد المادي في أضيق نطاق، وأن يعيد المجتمع البشري إلى سابق عهده، من كون الإتجاه المسيطر وهو الشكل الثاني للإيديولوجية، ويبقى الإتجاه الأول اتجاهاً شخصياً متفرقاً.

وقد اتخذ تدبير ذي القرنين في هذا الصدد شكلين أساسيين:

الشكل الأول: بناء السد الموصوف في القرآن الكريم المتكون من الحديد والصفر، وهو يحتوي على الحماية العسكرية من هجمات القبائل البدائية الملحدة.

---

(١) لعل الشهيد قده يتبنى مقولة أن ذا القرنين هو الاسكندر المقدوني اليوناني، ولكننا سبق وذكرنا عدم صحة ذلك لأن الإسكندر لم يكن حاملاً للمواصفات التي ذكرها القرآن عن ذي القرنين عليه السلام، نعم. ربما يريد بذلك اسمه دون كونه المقدوني.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٤.

الشكل الثاني: بناء السد المعنوي في المجتمع المؤمن، وزرع المفاهيم وقوة الإرادة الكافية ضد الإنحراف والفساد.

ولعل في الإمكان مع بعض التوسع في فهم القرآن الكريم، أن نحمل السد الموصوف فيه على السد المعنوي الذي يفصل بين الحق والباطل، وأن الحديد والصفر عبارة عن مكوناته المفاهيمية، إلا أننا نعرض كأطروحة محتملة، على غير اليقين. . . وإن كان ذلك ممكناً في لغة العرب، ولكننا سنسير بهذا الإتجاه ريثما تتم هذه الأطروحة.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[1] مما لديكم من المال والحطام، بعد أن مكنه الله تعالى من الملك والهداية معاً.

وكان السد الذي بناه ذو القرنين ضخماً ومهماً إلى حد يكفي لكبح جماح البدائيين الملحدين ورد عاديتهم، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾[2]، فإن الإتجاهات الملحدة تكون دائبة في نشر عقيدتها واختراق السد الإيماني وقهر قوة الإرادة والإخلاص عند المؤمنين، إلا أن سد ذي القرنين كان منيعاً لا يمكن لهذه الإتجاهات أن تؤثر فيه. ولكنه على أي حال لم يستطع القضاء عليه نهائياً، بل بقي بوجوده الضعيف ومؤثراً في المجتمع الإنساني بمقدار ما يستطيع ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[3]، ولم يكن مقدراً في التخطيط الإلهي استئصاله عن الوجود، لإمكان مشاركته في التمحيص العام الذي حملنا عنه فكرة كافية، ولذا كان لا بد من الإقتصار على كبح جماحه وكسر شوكته فقط ببناء السد ضده على وجه الأرض أو في نفوس المؤمنين.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٥.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٧
(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٩

ومن هنا بقي هذا الإتجاه في التاريخ، لكي يتمحض بعد حوالي ثلاثة آلاف عام عن السيطرة الجديدة المادية على البشر للمرة الثانية، ولكنها في هذه المرة ليست بدائية، ولكنها مادية (تقدمية) ومعقدة وفلسفية وذات شعارات برّاقة، وذات قوة ومنعة بحيث يصعب مجرد التفكير في منازلتها فضلاً عن القضاء عليها، وهو معنى قوله في أحد الأخبار السابقة: «لا يدان لأحد في قتالهم».

لقد خرقت السد القديم، ولم يعد كافياً للسيطرة عليهم وكبح جماحهم، إن ذلك السد كان مناسباً مع مستوى عصره العقلي والثقافي والعسكري، ولم يعد الآن كافياً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1] أي من كل جهة ينتشرون، كذلك انتشرت المادية الحديثة.

وتسيطر الحضارة المادية على خيرات البلاد الإسلامية، في ضمن سيطرتها على العالم كله، وتستولي على مصادرها الطبيعية، فتشرب البحيرات والأنهار ـ كما أشارت الأخبار ـ بمعنى أنها تستغلها تماماً لصالحها، وتمنع أهلها من الاستفادة منها، فيحصل الفقر والقحط في البلاد المحكومة المستعمرة «حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم».

وتأتي الأجيال المتأخرة من أتباع الحضارة المادية، فيقولون: «لقد كان بهذا المكان ماء»، فإنهم عرفوا من التاريخ أن هذه المنطقة كانت تغل لأهلها وتفيدهم، وأما الآن ـ وبعد سيطرة الحضارة الكافرة ـ فقد أصبحت الغلاّت لها، وأصبح وجود الماء كالعدم بالنسبة إلى أهل البلاد.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦

وأما المسلمون المخلصون فينحازون عنهم ويبتعدون عن ممالأتهم والسير في طريقهم، خوفاً على إيمانهم من الإنهيار، وعلى سلوكهم من التفسخ والإنحلال وحين يتم للحضارة المادية الملحدة بسط السيطرة على الأرض، تتجه أطماعها إلى السماء، ومن هنا نجدهم «يقولون: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، ولننازل أهل السماء» وهذا ـ بمعناه الرمزي ـ مما حدث فعلاً، فإن الحضارات المادية بعد أن أحكمت قبضتها على الأرض، طمعت بغزو السماء، بادئة بالأقرب من الكواكب، ومن هنا انبثقت فكرة غزو الفضاء الخارجي، والسير بين الكواكب.

«فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة بالدم» وهذا بمعناه الرمزي ـ مما حدث فعلاً، متمثلاً بإطلاق الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية والصواريخ الكونية، فاعجب لمثل هذا التنبؤ الصادق الذي لم يكن للنبي ﷺ أن يصرح به في عصره، إلا بمثل هذا الرمز، طبقاً لقانون «كلم الناس على قدر عقولهم».

ومعنى كونها تعود مخضبة بالدم، هو أنها محاولات ناجحة تنتج الأثر المطلوب والتوقع... فكما أن المتوقع من القتل بالحربة أو السهم أن تتخضب بالدم، كذلك من المتوقع للمركبات أن تنتج الخبرات العلمية المطلوبة، وأن تجلب التراب من القمر مثلاً.

ولعل في التعبير بأن السهام «ترجع عليها الدم الذي أجفظ «أي فاض وغزر... فيه إشارة واضحة إلى ذلك... بعد العلم أن السهم الإعتيادي لا يفيض منه الدم، وإنما يراد بذلك التأكيد على نجاح الرحلات الفضائية، وسعة ما تنتجه من نتائج، من حيث العمق والإنتشار في العالم.

وحين يتم لهم ذلك ينالهم الغرور بعلومهم ومدنيتهم «فيقولون: قهرنا

أهل الأرض وعلونا أهل السماء»، وكل حضارة ينالها الغرور، وتفشل في التمحيص الإلهي العام للبشرية لا بد أن يحكم عليها بالزوال، ويكون غرورها نذير فنائها، واندثارها... طبقاً للقانون الذي يعرب عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وكما كان للاسكندر ذي القرنين الدور الأهم في منازلة المادية الأولى... سيكون للقائد المهدي عليه السلام الدور الأهم في منازلة المادية الحديثة، ولذا قورن الإمام المهدي عليه السلام بذي القرنين بعدد من الروايات، كما سنسمع بعد ذلك. وسيكون للمسيح عليه السلام مشاركة فعالة في هذا الصدد، تحت قيادة المهدي عليه السلام... إلى حد يمكن أن نعبر عنه بأنه السبب المباشر لذلك، مع شيءٍ من التجوز والتعميم، ومن هنا تسبب موت يأجوج ومأجوج إلى عمله وجهوده، كما سمعنا من بعض الأخبار.

وأما أسلوب موت هؤلاء، فيمكن أن نطرح له أطروحتين:

الاطروحة الأولى: موتهم عن طريق تفشي الأمراض والأوبئة فيهم... كما هو الموافق مع ظاهر الأخبار على المستوى (الصريح) دون الرمزي ففي خبر مسلم: فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم. وفي خبر ابن ماجة: فبينما هم كذلك إذ بعث الله دواب كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً، والنغف دود صغار يكون في الإبل، وكل ما هو حقير عند العرب فهو نغفة. ومن هنا يكون الأرجح كونه تعبيراً عن

(١) سورة يونس، الآية: ٢٤.

مكونات الأمراض (الميكروبات)، ومن هنا يكون الخبر نبوءة عن هلاك الملايين الجدد عن طريق الأوبئة الفتاكة أو الحرب الجرثومية ونحوها.

الأطروحة الثانية:أن نفهم من الموت الكفر والانحراف، لا موت الأبدان، وهي المهمة الكبرى التي يقوم بها المهدي والمسيح عليهما السلام في العالم، ولئن كان الكفر قاتلاً للإيمان وهو أشد من موت الأبدان ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[1]، فإن الإيمان قاتل للكفر، وهو أفضل شكلي الحياة.

وهذا هو الذي يفسر لنا ما يظهر من الأخبار السابقة، من أن موتهم جميعاً يكون سريعاً وفي زمان متقارب جداً، فإنه طبقاً ـ للأطروحة الثانية ـ نتيجة للجهود الكبيرة المركزة في السيطرة على العالم بالعدل وتربية البشرية باتجاه الكمال، وهو ـ أيضاً ـ دليل على النجاح الفوري الأكيد لتلك الجهود في اليوم الموعود.

وستكون مخالفات الحضارة المادية الملحدة كبيرة جداً من الناحية الصناعية والعلمية، وسيكون لذلك الأثر الكبير في دعم الدولة العالمية العادلة، وترسيخ جذور التربية في المجتمع الشرعي، «فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت على نبات قط» فلحومهم ـ طبقاً لهذه الأطروحة ـ مخلفاتهم[2]، ومن المعلوم أن المستوى التكتيكي الرفيع إذا اقترن بمستوى اجتماعي عادل، أنتج أضعافاً مضاعفة من النتائج، مما إذا لم يقترن بالمستوى الإجتماعي العادل.

ولم تنتج البشرية ما بين المادتين: البدائية والتقدمية!!! من جذور

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩١.

(٢) علّق السيد الشهيد في الهامش على عبارة مخلفاتهم قائلاً: «وأوضح في الاستفادة من المخلفات ما آخرجه ابن ماجة (ج٢، ص١٣٥٩): قال رسول الله ﷺ: سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم واترستهم سبع سنين.

وبذور وإرهاصات للتجدد والاشتعال، ومن هنا تأسف نبي الإسلام ﷺ أسفاً شديداً، لأنه قد «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد عشراً» من حيث أن هذا الردم الإيماني قد بدأ بالتصدع مقدمة لوجود المادية التقدمية!!.

غير أن موقف المهدي والمسيح عليهما السلام سيختلف عن موقف ذي القرنين، فلئن اكتفى ذو القرنين ببناء السد، مع الحفاظ على وجودهم إجمالاً طبقاً للتخطيط العام، فإن المهدي عليه السلام يتخذ موقف الإستئصال التام لكل العقائد المنحرفة والكفر والضلال، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً «فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً».

الناحية الثالثة:

في الفرق بين يأجوج ومأجوج والدجال[1].

فإنه قد يرد إلى الذهن: أننا بعد أن فسرنا الدجال بالحضارة المادية كيف صح لنا أن نفسر يأجوج ومأجوج بنفس التفسير؟ وهل يمكن أن نعترف أنهما تعبيران عن حقيقة واحدة، مع العلم أن تعدد الأسماء والعناوين دليل على تعدد الحقائق؟

ويمكن أن يجاب عن ذلك بعدة أجوبة يصلح كل منها تفسيراً كاملاً للموقف:

الجواب الأول: أن مفهوم الدجال ناظر إلى الحضارة المادية ككل، ومستوعب لها على نحو المجموع، وأما مفهوم (يأجوج ومأجوج) فيقسم تلك الحضارة إلى قسمين متميزين.

---

(١) الدجال أحد علامات ظهور المهدي «عج»، والسيد الشهيد «قده» فسّر الدجال فيما سبق بأنه المادية الحديثة

فإنه بالرغم من أن الحضارة المادية ككل مميزاتها وخصائصها التي تفصلها عن الإتجاه الآخر بميزاته وخصائصه، ولها فروقها عن الحضارة الإسلامية والمفاهيم الدينية الإلهية، وهذه الحضارة المادية المنظور إليها بهذا الشكل هي التي تمثل مفهوم الدجال.

وبالرغم من ذلك، فإن للحضارة المادية انقساماتها الداخلية التي تجعلها في معرض الصراع الداخلي، الذي يكون في الأعم الأغلب عنيفاً وعميقاً، وهذا الإنقسام هو المعبر عنه بمفهوم (يأجوج) مرة ومفهوم (مأجوج) أخرى.

وهذا الإنقسام ليس حديثاً بل هو قديم قدم المادية نفسها، فالمادية البدائية كانت منقسمة، وكان انقسامها مشوباً بالشعور القبلي، والمادية (التقدمية). منقسمة، ولكن انقسامها أيديولوجي ومصلحي معاً.

الجواب الثاني: إن مفهوم الدجال يمثل المادية الحديثة... ولذا لم ينقل عنه قبل الإسلام أي وجود، وإنما بدأت إرهاصاته ـ حسب إفادات الأخبار التي عرفناها في السابق بعد بدء الإسلام، وكان وجوده الكامل متأخراً عنه بألف عام، وأما مفهوم (يأجوج ومأجوج) فهو يمثل الخط المادي بتاريخ الطويل، ولذا كان له وجود بدائي ووجود حديث، ولم يخل التاريخ المتوسط بينهما من التأثيرات والإرهاصات. وهذا يعني أن الوجود الحديث ليأجوج ومأجوج هو الدجال نفسه وليس شيئاً آخر.

الجواب الثالث: إن مفهوم يأجوج ومأجوج يعني الحضارتين الماديتين بوجودهما الأصيل، وأما عنوان الدجال فلا يعني ذلك بالضبط، وإنما الظرفية إلى نقطة تأثر المسلمين بتلك الحضارة المادية، فالدجال يعبر عن عملاء تلك الحضارة في البلاد الإسلامية، وهم متصفون بنفس أوصافهم ومتخذون نفس

منهجهم في الحياة... وكثيراً ما مارسوا الحكم وزرعوا الشبهات، وحاولوا فك المسلمين عن دينهم وإبعادهم عن طريق ربهم.

ويؤيد ذلك إتخاذ مفهوم الدجال، الدال على أنه مسلم بالأصل، ولكنه أصبح كافراً ومنحرفاً، يدعو الناس إلى الكفر والإنحراف، وقد ينطلق في إثبات أفكاره في الأذهان عن طريق الخداع والتمويه، باستعمال المفاهيم الإسلامية بشكل مشوه ومستغل للمنافع الشخصية والنتائج الباطلة. كما يدل عليه الحديث الذي أخرجه أبو داود[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع الدجال فلينأ عنه، فوالله إن الدجال ليأتيه وهو يحب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات».

وهناك أجوبة أخرى محتملة للجواب على السؤال الذي ذكرناه في هذه الناحية لا حاجة إلى سردها.

وللقارىء أن يختار أيّاً من هذه الوجوه الثلاثة شيئاً... فإن أياً منها كافٍ في تصحيح تفسيرنا للدجال وليأجوج ومأجوج معاً.

الناحية الرابعة:

طبقاً للأطروحة التي فهمناها عن يأجوج ومأجوج فإن انتشارهما من ردمهما سيكون قبل عصر الظهور، وسيظهر المهدي عليه السلام وينزل المسيح عيسى ابن مريم، وهم حلبة العالم فيتم القضاء عليهم تماماً.

غير أن بعض الأخبار دال على تأخر انتشارهما عن عصر الظهور

منها: ما أخرجه الحاكم في المستدرك في حديث يتحدث فيه عن نزول المسيح وسيطرة المسلمين وقتلهم لليهود، ويقول: ويظهر المسلمون

---

(١) سنن أبو داود، ج٢، ص٤٣١.

فيكسرون الصليب ويقتلون الخنزير ويضعون الجزية، فبينما هم كذلك أخرج الله يأجوج ومأجوج. . . الحديث.

فإذا عرفنا أن نزول المسيح وكسر الصليب وقتل الخنزير تعبير آخر عن قيام الدولة العالمية المهدوية. . . كان الحديث دالاً على خروج يأجوج ومأجوج بعد تأسيس هذه الدولة.

ومنها: ما أخرجه مسلم ورويناه في السابق في حديث يذكر فيه حادثة نزول المسيح ثم يقول: «فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون. .» الحديث.

فإذا استطعنا أن نبرهن ـ كما سيأتي ـ على تأخر نزول المسيح عليه السلام عن ظهور المهدي عليه السلام، وكان انتشار يأجوج ومأجوج بعد نزول المسيح ـ كما قال هذا الخبر ـ إذن فسيكون انتشارهم بعد ظهور المهدي عليه السلام إلا أنه يمكن المناقشة في هذه الأخبار من وجهتين:

الوجه الأول:وجود الدلالات المعارضة في الأخبار لهذه الدلالة... تدل على تقدم ظهور يأجوج ومأجوج على الظهور.

ولعل أهم ما يدل على ذلك: ما دل من الأخبار على خوف المسلمين من فتح يأجوج ومأجوج، وهي عديدة وقد سمعنا بعضها، وهي دالة بوضوح على تحصن المسلمين منهم وعجزهم عن قتالهم وسحبهم لمواشيهم معهم وهذا الخوف إنما يمكن تحققه قبل تأسيس الدولة العالمية، بل قبل ظهور المهدي عليه السلام أساساً، إذ لا معنى للخوف بعد الظهور، حين يكون النصر محرزاً والأمن مستتباً. . . طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

إذاً فيتعين أن يكون انتشار يأجوج ومأجوج الموجب للخوف والتحرز بين المسلمين، سابقاً على الظهور حين لا يكون للمسلمين قوة عليا وهيمنة.

وقد يخطر في الذهن: أن هذه الأخبار دلت على وجود هذا الخوف بين المسلمين بالرغم من وجود المسيح عليه السلام فيهم، وأنه عليه السلام مأمور بتحصينهم ضد اعتداءات يأجوج ومأجوج، فإذا كان نزول المسيح عليه السلام بعد الظهور كما أسلفنا، إذاً فسيكون فتح يأجوج ومأجوج بعده أيضاً.

والصحيح: أن هذه الرواية إنما تدل على تقدم نزول المسيح على الظهور، وأنه ينزل في زمان اضطراب المسلمين وضعفهم ووجود الفتن فيهم... ويكفينا الآن أن نعلم بوجود عدد من الأخبار دالة على تأخر نزوله عليه السلام عن الظهور. إذاً فلا بد من الإلتزام بأن انتشار يأجوج ومأجوج سابقة على النزول والظهور معاً، ونرفع اليد عن دلالة هذا الخبر بهذا المقدار، وهو المطابق مع الاطروحة التي عرفناها قبل قليل.

الوجه الثاني: وجود الدلالات المعارضة من ناحية أخرى. وذلك: أننا سنسمع الروايات الواردة لسرد حوادث ما بعد الظهور، وسنجدها جميعاً خالية من التعرض ليأجوج ومأجوج، وإنما سنجد العالم هو العالم الذي نعرفه خالياً من الغرائب التي نسبت إلى هاتين القبيلتين، يظهر المهدي عليه السلام وينزل المسيح عليه السلام فيحكمان فيه بالعدل، ومنه تكون الأخبار ككل دالة على عدم انتشار يأجوج ومأجوج يومئذٍ.

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

وحيث علمنا من القرآن الكريم والسنة الشريفة، أنهم لا بد أن ينتشروا في يوم، إذاً فهذا واقع قبل الظهور لا محالة.

وهنا لا بد لنا أن نتنازل عما دلت عليه بعض الأخبار السابقة عن تأخر انتشار هاتين القبيلتين عن نزول المسيح، تماماً كما قلنا في الجواب السابق.

وينبغي أن نلاحظ أيضاً، أنه طبقاً للأطروحة التي فهمناها لا تكون هناك آية معارضة بين أخبار يأجوج ومأجوج وبين الروايات التي تذكر حوادث ما بعد الظهور، لأن هذه الاطروحة كما تقول بتقديم انتشار يأجوج ومأجوج المادية على الظهور، تنفي عن هاتين القبيلتين كل الغرائب، وإنما هما يمثلان العالم نفسه كما نعرفه، فما عرفناه من دلالة الأخبار على سيطرة المهدي عليه السلام على العالم كما نعرفه يكون منسجماً مع الأطروحة كل الإنسجام.

نعم، طبقاً للأطروحة يكون عمل المهدي عليه السلام مكرساً في أول ظهوره للسيطرة على يأجوج ومأجوج، أو المادية السابقة على ظهوره، وهذا المفهوم لم يرد في أخبار ما بعد الظهور، وهذا يعني تحول المفهوم في هذه الأخبار وترك التعرض إلى عنوان يأجوج ومأجوج... ولا يعني وجود الإشكال في هذه الأطروحة»[1].

وخلاصة الأمر في هذه النظرية هو ما يتمثل بالآتي:

١ ـ هذه النظرية تنظر إلى يأجوج ومأجوج بوصفها ظاهرة مادية، وهي تنحل إلى ماديتين: مادية بدائية ومادية تقدمية حديثة.

---

(١) راجع موسوعة الإمام المهدي (عج).

٢ ـ إنه ومع تبني هذه النظرية والقول بأنها تدل على المادية العالمية فإن ما يُستغرب من الروايات حول يأجوج ومأجوج لم يعد مستغرباً.

٣ ـ إن هذه النظرية مبتنية على الفهم الرمزي للروايات الواردة حول يأجوج ومأجوج وليست مبتنية على الفهم التقليدي.

٤ ـ إن هذه النظرية تفسر ظاهرة الدجال على أنها مادية حديثة غير مسبوقة بينما تفسر ظاهرة يأجوج ومأجوج بوصفها ماديتين قديمة وحديثة؛ وبالتالي فإن ظاهرة الدجال هي نفسها ظاهرة يأجوج ومأجوج، وقد نفسر ظاهرة الدجال بوصفها مادية داخلية خاصة بالعالم الإسلامي، ويأجوج ومأجوج ظاهرة مادية عالمية عمومية.

٥ ـ ظاهرة يأجوج ومأجوج المادية سوف تتحقق قبل ظهور المهدي عليه السلام، وقبل نزول المسيح عليه السلام.

٤ ـ النظرية الرابعة

وهذه النظرية هي نظرية تنظر إلى يأجوج ومأجوج بوصفهم كائنات غير أرضية، وبالتالي فهم كائنات فضائية لهم عالمهم الخاص وحركتهم، وهذه النظرية بالحقيقة تابعة لمبنى فكري قائم بنفسه تبناه العالم المدقق المعروف بـ«عالم سبيط النيلي»، وهذا المبنى الفكري قائم على منهجية لغوية حيث تفيد نظرية العالم النيلي بأن للغة حلاً قصدياً وليست اللغة موضوعة على سبيل الإعتباط، ومن هنا بدأ بجولة تحقيقية في القرآن الكريم بناءً على الحل القصدي للغة، فالحل القصدي يرفض رفضاً قاطعاً أن تكون دلالة اللفظ خارجية جاءت من الإتفاق الجزافي وإنما هي ذاتية في اللفظ ومنشقة عن عناصرها الأولى وترتيبها التعاقبي. وخلافاً للإعتباط يرى أن اللفظ ينطوي على الفكرة قبل الإستعمال بعد وهو عين الفكرة. . . ومن هنا اختلف الحل القصدي للغة بل تناقض مع علم اللغة السائد تناقضاً تاماً في كل شيء، فكان من الطبيعي أن تكون نتائجه وتطبيقاته على النصوص مختلفة عما جرى عليه الإعتباط قروناً طويلة.

فهو يعالج النص مستقلاً عن المتلقي ويحرم على نفسه استعمال كافة الأدوات والوسائل الإعتباطية من تقديم وتأخير وحذف ومجاز وغير ذلك مما هو داخل في عملية إعادة بناء الجملة»[1]

---

(١) الطور المهدوي، ١٢ ـ ١٣.

ومنهج العالم النيلي له ما يبرره، ومن ذلك:

١ ـ أن كلام الله عزَّ وجلَّ في القرآن هو لا يشابه كلام البشر، كما أن الله عزَّ وجلَّ لا يشبهه أحدٌ من خلقه.

٢ ـ أن أخذ الفاظ القرآن الكريم بطريقة اعتباطية جزافية على حسب ما يراه أهل التفسير من دون التأمل في نفس الألفاظ والأحرف هو بعينه كقول القائل: لقد مات واضع القرآن والعياذ بالله!!! فيلزم أولاً معرفة قصد نفس القائل والواضع.

٣ ـ إنه وكما أن لكل شيء قاعدة ونظام فإن للألفاظ واللغة قاعدة ونظام.

٤ ـ إن الحرف له دخالة في تقويم الكلمة كما أن للكلمة دخالة في تقويم الجملة فلا ينبغي اعتبار الحرف بمثابة الآلة لغيره، فربما يكون له معنى وقصداً بنفسه.

٥ ـ عدم اعتبار المجاز والترادف والاستعارة هي الأصل في فهم النص القرآني، بل لا بد من التثبت من نفس النص أولاً فإن أحالنا نفس النص إلى هذه الطرائق فبها وإلا فلا.

٦ ـ إن المعنى يظهر من الألفاظ والأصوات وإن لم تتمثل بجملة، وبالتالي ليست الألفاظ والأصوات فارغة ومعدومة القيمة.

٧ ـ إن كلام الخالق له معنى حركي وهو أصل جميع المعاني.

٨ ـ مبدأ خضوع المتلقي للنظام القرآني من حيث الحل القصدي للغة، لا أن النظام القرآني خاضع للمتلقي.

٩ ـ مبدأ قصور المتلقي عن الإحاطة بكل مقاصد القرآن من دون إعانة نفس القرآن.

١٠ ـ مبدأ التبيين الذاتي.

وبالجملة فإن فهم القرآن الكريم عبر مبدأ الحل القصدي للغة ينتج عنه مفاهيم جديدة مغايرة لما هو متعارف، علماً بأن هذا المنهج أعني منهج الحل القصدي للغة كان موجوداً قبل تبلوره وتطبيقه على القرآن الكريم من قبل «العالم النيلي»؛ فقد كان موجوداً سابقاً على يد غير واحد، لكن ما تميز به «العالم النيلي» رحمه الله أنه أعطى للنظام القرآني بُعداً خاصاً من حيث القصد الحلي للغة ورفض تشبيه ما في القرآن بما في غيره حتى على صعيد اللغة.

وعوداً على بدء فإنه ووفاقاً لهذا المنهج أعني القصد الحلي للغة، فإن نظرية يأجوج ومأجوج أخذت طريقها للتبلور لتعطينا نتيجة مفادها: أن يأجوج ومأجوج ظاهرة غير أرضية بل هي فضائية، وقبل أن نذكر نظرية العالم النيلي بالنص حول يأجوج ومأجوج فإننا نرشد القراء الأعزاء إلى ضرورة الوقوف على منهج «العالم النيلي» لفهمه فهماً كافياً، لأن منهجه في التحليل والبحث القرآني له مقدماته، وطبيعته ومفرداته الخاصة ومن هنا ننصح القراء بقراءة كتابه الموسوم بـ«النظام القرآني» مقدمة في المنهج اللفظي المطبوع في مطابع الأرز؛ بيانات النشر عمان: دار أسامة، سنة ١٩٩٩م، ولعله قد طبع ونشر في بعض الدور اللبنانية بشكل جديد.

ونحن هنا بدورنا ننقل نظريته رحمه الله كاملة من دون تصرف لأن التصرف بكلامه رحمه الله قد يوجب خللاً في إيصال المعنى سيما وأنه شدد على إبقاء دور الواضع للنص حتى بعد وفاته لأن المتلقي هو الذي يخضع لنظام الواضع لا العكس، وبالجملة فقد قال رحمه الله: «إن قصة ذي القرنين مختلفة عن جميع القصص القرآنية، وأكثرها غموضاً على الإطلاق. ويكفي في ذلك أنهم اختلفوا في شخصيته على عشرة أقوال وسبب تسميته

على أحد عشر قولاً . . . كما اختلفوا في ثمانية عشر لفظاً وردت في القصة رغم قصرها الشديد. وبقيت القصة إلى اليوم لغزاً محيراً عند العلماء. إذ وجدوا أن عبارات مثل ﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾، ﴿سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾، ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾، وجدوها مع القوم يأجوج ومأجوج أشياء مستعصية على الفهم.

والذين حاولوا تفسير جميع الألفاظ، بحسب ما فهموه من غير ما نظر لأجواء السورة نفسها وأغراضها تورطوا أكثر حينما ظلَّ الكثير من الأسئلة بغير إجابة!.

قالوا إن السد الذي بناه ذو القرنين في أذربيجان. . ولم يعثر أحد في المنطقة على ذلك السد! وقالوا ربما يكون ذلك سور الصين. . علماً أن سور الصين من حجر والمذكور في القرآن من حديد ونحاس. وتساءل الناس من هم يأجوج ومأجوج وأين يقطنون. . فافترض البعض أنهم سكان الصين، بالرغم من أن صفتهم في المأثور النبوي لا تشبه صفة بني الإنسان على أرضنا من قريب ولا من بعيد.

وقام صاحب الميزان بإحصاء الصور المحتملة لسرد القصة بناء على المعاني المتعددة والوجوه المختلفة للمفسرين فوجدها تبلغ أكثر من مليون صورة محتملة، واستنتج من ذلك أن أي كتاب مهما بلغ من العلم لن يتمكن من صياغة قصة غامضة على هذا النحو لتعطي هذا العدد من الصور، مما يدل على سماوية القرآن!!. ولا نريد مناقشة هذا الاستنتاج بالمقارنة مع وصف القرآن لنفسه بأنه (مبين). لقد استخدمت في القصة لغة قرآنية بخلاف القصص القرآني وورود ذكر إسم أقوام مجهولين عندنا هم (يأجوج ومأجوج)، إذ لا يوجد على الأرض قوم آذانهم طويلة تستخدم عندهم فرشاً وغطاء وبمقدورهم شرب ماء بحيرة طبرية عن آخره، كما ورد في الحديث،

كما لا يوجد قوم على الأرض لا ستر لهم من الشمس ولا يوجد سور في الأرض يشبه سد ذي القرنين، مما يدل على أن أي تفسير يحاول فك رموزها على نطاق الأرض سيكون فاشلاً.

ولا أدري لماذا لم يتأمل المفسرون بقول الإمام علي عليه السلام [كل البشر ولد آدم إلا يأجوج ومأجوج] إذ تكفي هذه العبارات بمفردها على التيقن من أن الرحلة كانت لخلق ليسوا من ولد آدم وبالتالي فإنها ليست رحلة أرضية.

إن الحديث يعني أنهم مجبولون من الطين ولكنهم لم يصلوا بعد إلى مرحلة الآدمية وبإمكاننا أن نفترض أنهم إذا كانوا في أرض أُخرى في كوكب آخر فإن لهم طباعاً مختلفة وعلاقة بالجاذبية والمجالات المغناطيسية وأوزاناً مختلفة عنا تماماً. وبالتالي فإن لهم قدرات جسمانية تناسب كوكبهم تعتبر شديدة الوطأة بالنسبة لنا لكننا نتفوق عليهم بالقدرات العقلية وباجتياز مراحل من الآدمية.

ما هي الدلائل على أن هؤلاء في كوكب آخر وأن رحلة ذي القرنين كانت في الفضاء؟ إن الدلائل كثيرة جداً ومن أهمها الأسلوب القرآني نفسه:

فلم يذكر القرآن سفراً أو رحلة بمثل هذه العبارة: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.. فهذه العبارة بمفردها تدل على السفر في الفضاء، ذلك لأنها في القرآن لم تستخدم إلاّ في هذا المعنى فقط:

المورد الأول: ﴿...يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ... ﴿٣٧﴾﴾[1].

المورد الثاني: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾[2].

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٣٦ و٣٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٥.

المورد الثالث: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾[1].

فهذه الموارد واضحة في معنى الارتقاء إلى الفضاء، والموارد الأخرى الأربعة في نفس القصة، ومجموع الموارد ولهذا اللفظ (الأسباب) هو ثمانية موارد.

وهناك مورد واحد فقط لا يصرح بالرقي إلى السماء هو قوله تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾.

وهو أيضاً للرقي إلى السماء، إذ سيأتيك البرهان في فصل جنات الطور المهدوي وعذابه إن هذا عذاب المرحلة المهدوية حيث سيحاول الكفرة الهرب من الأرض عند رؤية العلامات الكونية ـ لاعتقادهم بدمار الأرض ـ وهو الذي يفسره المقطع في سورة الرحمن ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾.. وفي الآيات دليل على أن الطور المهدوي يبدأ عند محاولة البشر تجربة القيام برحلات إلى الفضاء. ولذلك قال تقطعت (بهم) ولم يقل تقطعت بينهم الأسباب، ليدل على أن الفشل يلاحق الأسياد وعبيدهم على حد سواء. أي تقطعت بهم جميعاً. والبراهين على وجود عذاب دنيوي قبل القيامة كثير جداً تأتيك في محلها بإذن الله.

رأينا في الأحاديث السابقة أنهم عليهم السلام يشيرون إلى جهة المغرب أكثر من مرة.. لوصف كواكب وأقوام. فما هو الموجود في جهة الشمس لحظة الغروب؟. الموجود عند غروب الشمس ـ باتجاه الشمس ـ هي الكواكب الداخلية الزهرة وعطارد فمن الممكن أن نتصور أن الرحلة كانت باتجاه هذه الكواكب وبخاصة أن الرحلة تمت بثلاث مراحل: ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى

---

(١) سورة ص، الآية: ١٠.

ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[1].

تبدأ القصة على هذا النحو. . فالسفر في الفضاء شيء وقد آتاه الله من كل شيء سبباً فليكن السفر الفضائي من جملة ما آتاه.

حديث (١٣):

عن أمير المؤمنين في قوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ قال:

[وأعطيناه من كل شيء علماً وقدرة وآلة يتوصل بها إلى مراده] قصص الجزائري/ ذو القرنين.

يذكر الإمام عليه السلام هنا وجود علم وآلة توصله إلى مراده. وهكذا بدأت السفرة بثلاث مراحل:

الأولى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾. لقد تحرك باتجاه الشمس لحظة غروبها، إذن فهو متجه نحو مدار الزهرة. . وفي كل سنة تمر الزهرة بهذا المدار حيث تصبح مع الأرض في جهة واحدة. عند الغروب أيضاً وصل إلى الزهرة لأنه لا يستغرق أي وقت يذكر.

فوجد الشمس تغرب عليه في عين حمئة. أي في كرة أرضية عالية الحرارة داكنة اللون. لقد عبر الأئمة مراراً عن الكواكب بلفظ (عين) كما في النصوص الآتية:

حديث (١٤):

في البحار عن الصادق عليه السلام [إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس].

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٨٣ ـ ٨٥.

حديث (١٥):

فيه أيضاً عنه عليه السلام [إن من وراء عين قمركم أربعين عين قمر].

حديث (١٦) :

[في البشارة في علامات المهدي (عج) عنهم عليهم السلام :

[يرون بدنا بارزاً نحو عين الشمس]. العين في اللغة لها سبعون معنى. . لكن الأصل اللغوي لها هو: الشيء المكور بذاته والواضح وضوحاً كافياً[1] ولذا سميت كرة الأبصار عيناً وكرة الماء المتدفق ذاتياً من الأرض عيناً. . أما كونها حمئة: فهو أوضح لأن الزهرة مرتفعة الحرارة إذ تقدر الحرارة فيها أكثر من مائة درجة مئوية. . مقابل ٧٠ درجة أقصى حرارة للأرض. وهي شديدة اللمعان إذا شوهدت من الأرض، لكن سطحها مظلم لكثافة الغيوم على طول السنة. فورد ذكر هذه الظلمة في كتاب قصص الأنبياء للجزائري:

حديث (١٧):

الجزائري في قصص الأنبياء عن علي عليه السلام: [قال ذو القرنين إني أريد أن أسلك هذه الظلمة. . قالوا إنك تطلب أمراً ما طلبه أحد قبلك من الأنبياء والمرسلين. . قال لا بد لي من ذلك].

حينما تكون الزهرة في منطقة قريبة من الأرض، وينطلق ذو القرنين إليها فإنه يصل بطبيعة الحال إلى الجزء المظلم منها. لأنها كوكب داخلي. لاحظ الرسم.

---

(١) انظر اللغه الموحّدة للمؤلف (باب العين).

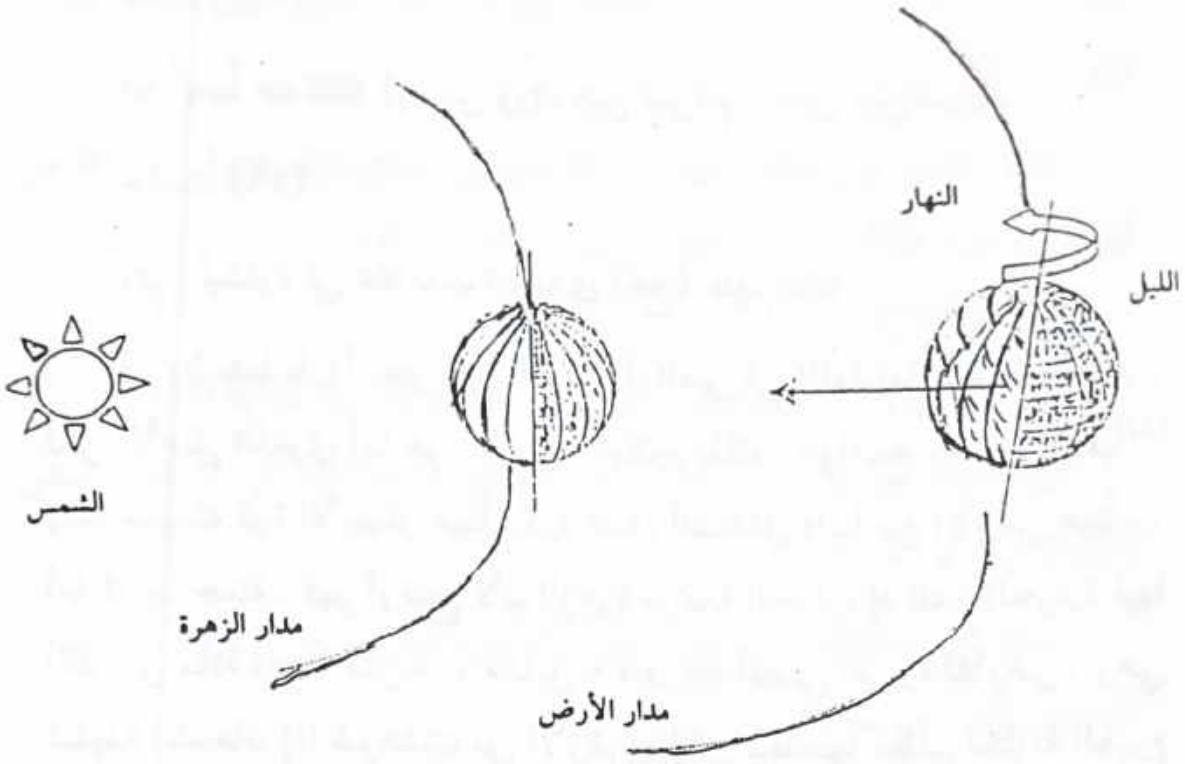

الرسم (١): يمثل قطع مدار الزهرة عند الانطلاق من الأرض وقت الغروب باتجاه الشمس

لاحظ أنه إذا اتجه عند الغروب إلى مطلع الشمس فإنه يتجه إلى الزهرة.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.

الزهرة مشابهة تماماً للأرض حجماً وسنتها قريبة من سنة الأرض (٢٢٧) يوماً من أيامنا. ووجد فيها قومٌ بطور يقرب من طور الأرض وخيّره الله بين العقاب والقوة وبين الاقتناع والإحسان فاختار الجمع بين الطريقتين:

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾.

إذن (فوجد عندها) عند العين أي الكرة الأرضية لا عند الشمس.

وقوله: سوف نعذبه، يدل على أنه وضع لهم قوانين وأنظمة وعقوبات

وأفهمهم أمر الدين وعين لهم مرشدين، وإذن لم يكن مسافراً بمفرده. كما أنه بقي عندهم مدة كافية ثم ذهب إلى مطلع الشمس.

وقد يقال: إذا بقي مدة طويلة فلا بد أن الشمس طلعت عليه عدة مرات؟ الجواب كلا لم تطلع الشمس وهو الذي انطلق إلى مطلعها لأن الزهرة هي الوحيدة من الكواكب السيارة التي يومها طويل جداً بدرجة غريبة.. إن يومها أطول من سنتها؟ كما في النص العلمي الآتي:

نص علمي: [ولم نكن نعرف مدة دورتها حتى عام ١٩٦٢ حيث كشف الرادار أن يومها يساوي ٢٤٧ يوماً من أيامنا] ـ دليل النجوم ـ ص٦٠ د. عبد الرحيم بدر.

ولهذا بقي في الظلمة عدة أيام مواصلاً السير كما في هذا النص:

حديث (١٨):

الجزائري في قصصه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال [سار ذو القرنين في الظلمة ثمانية أيام وثماني ليال ومعه أصحابه].

من الواضح أنه عليه السلام يقصد ما يساوي هذا العدد من أيام الأرض لا من أيام (الزهرة) حسب الفرض.

المرحلة الثانية: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾.

إنطلق أيضاً بالسرعة الفائقة، لكن باتجاه مطلع الشمس. إذا كان دوران الزهرة حول محورها بطيئاً جداً ويومها ما يقرب من سنة فيفترض أن يتجه إلى مغرب الشمس أيضاً ليذهب إلى الكوكب الداخلي الآخر، (عطارد) فلماذا اتجه نحو مطلع الشمس؟ الجواب أنه لو تحرك باتجاه مغرب الشمس لعاد إلى الأرض وهو لا يريد ذلك إنه يريد الانطلاق إلى عطارد.. والسبب هو أن الزهرة هي الوحيدة من السيارات التي تدور من الشرق إلى الغرب

مخالفة بذلك جميع أفراد المجموعة الشمسية كما في النص العلمي:

نص علمي: [. . . ولكن الرادار نفسه اكتشف شيئاً مذهلاً حقاً. وجد أن الزهرة تدور حول نفسها في اتجاه معاكس للكواكب الأُخرى. فكل الكواكب تدور حول نفسها من الغرب إلى الشرق. أما الزهرة فتدور من الشرق إلى الغرب] الدليل ص٦٠.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾.

تحرك إذن باتجاه مطلع الشمس ووجد هؤلاء القوم على كوكب (عطارد). وهؤلاء ليسوا من العلم بحيث يمكن تعليمهم وليسوا أشراراً ليعاقبهم إنهم شبه عراة يمرون بطور بدائي يشبه الطور الذي مرّت به الأرض قبل الزراعة وبناء المساكن. . ولذا لم يفعل باتجاههم أي شيء: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ أي كنا نتابعه خلال حركته بعلم إحاطي.

المرحلة الثالثة: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾.

سار ذو القرنين بنفس الاتجاه نحو الكواكب الداخلية، والمشرق والمغرب أمر يخص الكرات الأرضية وهو لا علاقة له بذلك، ولذا لم يذكر القرآن هذه المرة المغرب والمطلع لأنه حدد لنا اتجاهه [بنقطتين يمكن رسم مستقيم بينهما] فلا ضرورة للكلام الزائد.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

هؤلاء درجة تطورهم أدنى من القوم السابقين وهم مساكين لا يحسنون حتى التعبير. فجعل تخلف اللغة دليلاً على تدني معارفهم وهو أدق المقاييس إطلاقاً. لم يعرف القوم من هو ذو القرنين، لذلك عرضوا عليه مطلبهم بسذاجة لمجرد أنهم رأوه بعساكر وقوة لا مثيل لها. عرضوا عليه أن يحميهم من يأجوج ومأجوج مقابل ثمن:

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾؟

لكنه كان بين السدين فأين يريدون وضع السد الجديد؟

إن أكثر الفقرات غموضاً هو بناء السد ـ بالرغم من أنه ليس سداً كما سنرى. ولكن بناء على اقتراحنا السابق فإن هؤلاء القوم كانوا بين كوكبين في منطقة تعادل الجاذبية حيث هو المعبر عنه [بين السدين] وهذه هي طبيعة هذا الخلق، ذلك لأن السد في التعبير القرآني هو الحاجز المانع عن الحركة وغير المرئي ـ استخدم ثلاث مرات فقط، مرتان هنا في فقرات بناء السد، ومرة واحدة بالمعنى الذي ذكرناه في يس:

﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1].

وهذا الاستخدام الوحيد الواضح وهو الذي يفك رموز الموردين الغامضين أعلاه.

أما يأجوج ومأجوج فإنهم على الكوكب الصغير نفسه، فهل كان يأجوج ومأجوج يهاجمون القوم منطلقين من كوكبهم؟

يبدو ذلك، ففي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيها أن ذا القرنين استمع في طريقه وهو بالرحلة إلى شرح مفصل من (أحد الملائكة) لعملية نشوء الزلازل، وعند التأمل فيها يظهر واضحاً الربط بين الزلازل وبين القوى المغناطيسية للكوكب ـ وسوف نوضح أمر هذه الرواية قريباً ـ ولكن الذي يهمنا منها الآن أن الكوكب قريب من الشمس والمجال المغناطيسي فيه شديد الوطأة يدل على ذلك (إن كثافته مقاربة لكثافة الأرض رغم أن

---

(١) سورة يس، الآية: ٩.

حجمه خمسة بالمائة منها وسرعته في المدار ضعف سرعتها تقريباً رغم أن يومه ٥٨ يوماً من أيامنا مما يدل على شدة المجال المغناطيسي فيه).
الخطوط المغناطيسية تخرج من دائرة صغيرة في القطب الشمالي ممتدة إلى دائرة مثلها في القطب الجنوبي ـ وفي القطب بالذات ينعدم تأثير القوة المغناطيسية ـ وهذا هو المنفذ الوحيد لخروج يأجوج ومأجوج! يؤيد ذلك طبيعتهم القائمة على سرعة الحركة:

حديث (١٩):

البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل في يأجوج ومأجوج قال:

[وقيل إنهما من الترك وقيل إنهما إسمان أعجميان بدلالة منع الصرف] أقول إنه ليس في القرآن ما هو أعجمي:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾[1].

فالإسم مشتق من أج أي أسرع والآخر مشتق من مج ومعناه تحدّر أو إنسلّ فالأج والمج واحد في الفعل مختلف في الصورة الأول يظهر الإسراع والآخر ينسل خفية بإسراع فهو كالفارق تماماً بين الهمز واللمز.

القاموس:[أج إذا أسرع وأصله الهمز].

ما الذي فعله ذو القرنين؟ قام أولاً بتصحيح لغوي لطلبهم. فهم أرادوا سداً لكنه أخبرهم بأنه سيجعل بينهم ردماً! فما هو الفرق بينهما؟ إن الفرق بينهم يبين صحة الفرض السابق. فالسد رغم كونه قرآنياً غير مرئي لكن صورته الذهنية هي صورة الجدار الطولي. أما الردم فهو إغلاق فتحة علوية.

القاموس [ردم الثلمة وردم الكوة إذا سدها أو أغلقها]

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

فالكوة التي تدخل فيها الشمس تردمها ولا تسدها.

تخيل الخطوط المغناطيسية الخارجة من قطب مغناطيسي لآخر أو أنظر الرسم سترى هنا الثُلمة المغناطيسية.

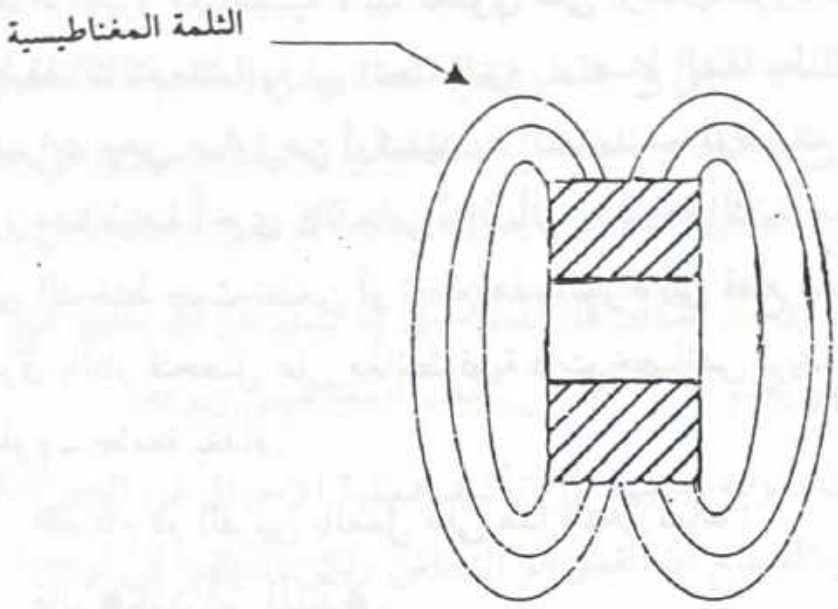

إذا رأيت الرسم بإمعان فإن شكل الخطوط يشبه شكل الصدفة، صدفة المحار لكن الصدفة نفسها عليها نقوش خطوط تشبه تماماً خطوط الفيض على كرة ممغنطة، فهناك أيضاً في المحار دائرة صغيرة في الأعلى تخرج منها الخطوط على المحارة.

إن الخطوط المغناطيسية (تنقطع) عند القطبين وفي هذه النقاط تضعف القوة ويمكنهم الإفلات منها. والطريقة الوحيدة لمنع القوم من الخروج هو توصيل الفيض ما بين الصدفين ولا يتم ذلك إلا ببناء مغناطيسي شديد الفيض فوق القطب، فاللازم إذن استخدام الأسلوب العلمي لصناعة مغناطيس يوضع على القطب لسد الثلمة التي تبلغ ثلاثة أميال. فالمجال يسد الثلمة لكن

المغناطيس يوضع على الجهتين وهو أصغر حجماً من الثلمة بكثير.

كيف تصنع المغانيط الحديثة؟ يجيب على هذا السؤال النص العلمي الرسمي الآتي:

[. . . فبناء على نظرية الدايبولات الحديثة تكون ذرة الحديد هي أفضل المواد الفيرو مغناطيسية لأنها تحتوي على أربعة إلكترونات لا ازداوجية في الطبقة الثالثة متشابهة في اتجاه البرم. وتصنع المغانيط الحديثة من خليط الفيرات وهي عبارة عن أوكسيدات الحديد مخلوطة مع أوكسيدات مواد فيرو مغناطيسية أُخرى كالنحاس، إذ يأتي بالدرجة الثانية بعد الحديد بالقابلية على التمغنط حيث تطحن أو تقطع هذه المواد إلى قطع صغيرة أو تضغط ثم تحرق بالنار فنحصل على مغانيط قوية ذات خصائص فريدة] ـ الفيزياء ـ كلية العلوم ـ جامعة بغداد.

لقد قام ذو القرنين بالعمل على هذا النحو تماماً:

قال ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾.

قرئت زُبر الحديد ـ بفتح الباء ـ والمعنى القطع العظيمة الكثيرة (القاموس). لكنهم في قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ اختلفوا بين الفتح والضم، وخالف إبن بري الجميع بما في ذلك خالويه حينما قال:

من قرأ زبُرا بالضم فهي جمع زبُور، أي جعلوا دينهم كتباً كثيرة. ومن قال زُبراً بالفتح فهي جمع زُبرة، أي قطعة أي تقطعوا قطعاً قطعاً.

سوف ننقل خلافهم الآن إلى موضوعنا! لأنهم تركوها اعتقاداً منهم بأن السد عظيم فالقراءة بالفتح حتماً. فلو قرأناها بالضم لكان المعنى آتوني قطع الحديد المقطعة قطعاً.. أي المسحوقة سحقاً. وهذا هو سبب قوله ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾، أحتاج قوتهم لتقطيع الحديد لا لحمله.. لأنه كما يبدو من النص القرآني متوفر في المنطقة بكثرة.

لكن إبن منظور لا يرى فرقاً بين القراءتين فعنده زُبرُ وزُبرَ واحد هو الأجزاء الصغيرة. ومن هنا يتضح أن قول المفسرين قطعاً عظيمة لا مؤيد له من اللغة، فإن أرادوا وصف الكمية فهي كمية كبيرة ولا تحتاج لإيضاح إنما المقصود القرآني النوعية: آتوني القطع المقطعة من الحديد لأحرقها واخلطها بالنحاس وأصنع منها أكاسيد تكون مغانيط فريدة!.

وهذا ما فعله، فلكي لا يضطر لنقل المغناطيس العظيم هذا فقد وضع الحديد بنفس المكان وبالشكل المطلوب بحيث يساوي في فيضه المغناطيسي بين الصدفين ثم أحرقه إحراقاً شديداً ثم رمى فيه النحاس:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوٓاْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾، إذن فهو يعلم علاقة الفيض بحجم المغناطيس ونوعه.

أراد القرآن بقوله جعلها ناراً تأكيد عملية الإحراق في الجو لتكوين الأكاسيد. إتفق الجميع أن القطر هو النحاس ولكن اختلفوا في نوعه:

قال جماعة: هو النحاس المصهور لقول ابن عباس [قطر ان] فجزأه إلى قطر وأن أي في أوج حرارته.

لكن صاحب القاموس وصاحب اللسان قالا: إنه نوع من النحاس ولم يحدداه إذن فهو أوكسيد النحاس الذي إسمه القديم (زنجار النحاس).

ولهذا أحرق الحديد وحده وأخر النحاس لكونه متوفراً لديه كأوكسيد جاهز فيكفي المتبقي من الحرارة لإدخاله الخليط وصهره كون درجة انصهاره أوطأ من درجة انصهار الحديد. وإذن فعلى قراءة ابن عباس يكون معنى أن جاهزاً لا مصهوراً! فأين هذا من قول المفسرين إنه بنى الحديد بالنحاس كما يبنى الحجر بالطين وسموه سد ذي القرنين رغم تصحيحه لخطئهم اللغوي وتسميته ردماً؟

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾.

لم يقل يظهروا عليه.. لأنهم أول مرة رأوا الطريق مفتوحاً إلا هذا الشيء العجيب كحدوة الحصان.. إنها تعني لم يقدروا على خرق المجال وهي عبارة بالغة الدقة وتخلو من التاء لهذا الرمز.. ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾، عندئذ عرفوا أن هذا الشيء الغريب [المغناطيس] هو السبب فأرادوا تهديمه فما استطاعوا:

اللسان: نقبت خف البعير إذا تآكلت وتهرأت إذن لم يحاولوا ثقبه كما ظن المفسرون بل حاولوا تهديمه لأن الثقب لا فائدة منه فالفيض متصل في الفراغ.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾.

وهذا الوعد هو يوم المهدوية ـ كما سنبرهن عليه لاحقاً ـ ولهذا السبب إقترن خروج يأجوج ومأجوج بنزول المسيح عليه السلام ـ لأن دك الردم عند حدوث الوعد فيتمكنون من الخروج ثانية، ولما كان نزول المسيح عليه السلام مقترناً بظهور المهدي عليه السلام، دلّ ذلك على أن الوعد مفردة استخدمت للإشارة لهذا اليوم كما سيأتيك في اقترانات الوعد بالألفاظ الأخرى.

أدلة أُخرى متفرقة من المأثور على صحة التفسير

حديث (٢٠):

الجزائري في (النور المبين) عن أمير المؤمنين في قوله تعالى ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال عليه السلام: [سخر له السحاب ومد له في الاسباب فكان عليه الليل والنهار سواء].

الحديث واضح في تمكنه من السفر في الفضاء لوجود عبارتي السحاب والأسباب واستخدامه عليه السلام مد ـ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾.

كانت سرعته فائقة جداً، فيتمكن من الخروج من الليل والدخول في النهار ولهذا كانا عليه سواء أي بدون مرور زمن.

حديث (٢١):

الجزائري أيضاً عنهم عليهم السلام في الإجابة عن سبب تسميته ذي القرنين قالوا عليهم السلام: لأنه دخل النور والظلمة].

ويحلل بالتحليل نفسه فهو يدخلهما بوقت واحد من غير انتظار لحركة الفلك لامتلاكه السرعة الفائقة، وإلا فلا معنى للحديث، لأن أي فرد منا يمكنه الدخول إلى النور والظلمة. إن هذا يفك الرموز في حديث آخر حول شكل الأرض، حيث ورد في المأثور إجابة عن السؤال عن شكل الأرض أنها [على قرني ثور].

أي: على شكل قرني ثور فتعطي صورة الشكل المفلطح للأرض بدقة علمية أكبر وإذن فلا مكان للسخرية من هذا الحديث الشريف من قبل أولئك المتحذلقين بغير ما دراسة في نصوص وآثار دينهم. يدل عليه قولهم عليهم السلام عن ذي القرنين (أنه بلغ قرنيها) أي الأرض، أي بلغ جزأيها المتقابلين كقرني ثور شرقها وغربها. يدل عليه أيضاً:

حديث (٢٢):

السمرقندي عن النبي صلى الله عليه وآله: قال: [سمي بذي القرنين لأنه طاف شرقها وغربها]. إن المثير للسخرية ليس هذا الحديث وأمثاله وإنما بقاء الأمة الكبيرة ألف سنة وأربعمائة سنة جاهلة بمعاني تلك الأحاديث.

حديث (٢٣):

العياشي في تفسيره عن علي عليه السلام بشأن ذي القرنين:

[ثم رفعه الله إلى السماء الدنيا فكشط الأرض كلها حتى أبصر ما بين المشرق والمغرب]. الحديث صريح في أن رحلاته كانت في الفضاء.

كشط في اللغة ـ كشف ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ أي فرجت وكشفت.

فاستعمل عليه السلام لفظ كشط للدلالة على نوع الحركة لارتباطه في القرآن بالسماء فقط.

حديث (٢٤):

الراوندي في قصص الأنبياء عليهم السلام عن الباقر عليه السلام: [حج ذو القرنين بستمائة ألف، فسار إلى إبراهيم عليه السلام فقال إبراهيم عليه السلام بم قطعت الدهر؟]

إنّ قطع الدهر يعني (اختصار الزمن)، فهو يقطع المسافات التي لا تقطع إلاّ بالدهور مثل لمح البصر. ومن الواضح أنه ليس على الأرض مسافات تستغرق دهوراً، لأن الدهر حدد في القاموس على أنه ثمانون سنة.

نص آخر: البيضاوي في أنوار التنزيل حول المرحلة الثالثة من الرحلة قال: [﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ يعني طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب من الجنوب إلى الشمال].

إن هذا النص يؤكد ما قلناه من تحركه للمرة الثالثة نحو القطب الشمالي للكوكب لسد الثلمة المغناطيسية.

على أن في رواية الجبل المحيط تتكشف أسرار أُخرى في القرآن تأتيك في محلها. وسوف نذكر الرواية فقط مع تعليق موجز.

حديث (٢٥) رواية الجبل المحيط:

سخر قوم من المعاصرين من مثل هذه الرواية واستنكروا أن ترد في الكتب المعتبرة. ولهم الحق في ذلك إذ لم يكلفوا أنفسهم عناء التأمل والبحث:

في إكمال الدين وإتمام النعمة بسنده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

[ثم مشى على الظلمة ثمانية أيام وثماني ليال وأصحابه ينظرون إليه حتى انتهى إلى الجبل المحيط بالأرض كلها وهو الجبل الأعظم. وإذا بملك من الملائكة قابض على الجبل وهو يسبح فخر ذو القرنين ساجداً فلما رفع رأسه قال له الملك: كيف قويت يابن آدم على أن تبلغ هذا الموضع ولم يبلغه أحد من بني آدم قبلك؟ قال: قواني عليه الذي قواك على قبض هذا الجبل وهو محيط بالأرض كلها. قال الملك صدقت لولا هذا الجبل لانكفأت الأرض كلها وليس على الأرض جبل أعظم منه وهو أول جبل أسسه الله ورأسه ملصق بالسماء الدُّنيا وأسفله بالأرض السابعة السُفلى وهو محيط بها كالحلقة وليس على وجه الأرض مدينة إلاّ ولها عرق إلى هذا الجبل فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أوصى إليّ فحركت العرق الذي يليها فزلزلتها].

إن الحديث يوضح المغناطيسية الأرضية ويوضح الصلة بينها وبين الزلازل فقوله: محيط بالأرض كلها: لا يعقل بأن الإمام (عج) يقصد به جبلًا مرئياً فكيف يقول ذلك ولا أحد يرى هذا الجبل؟.

وإذن فهو جبل غير مرئي.

قوله: ليس على الأرض جبل أعظم منه: فهو أعلى الجبال فعلاً وأكبرها حجماً.

قوله: وهو محيط بها كالحلقة: تصوير رائع في جميع جهاته. لأن المنظر العلوي والجانبي والمجسم كلها تظهر المغناطيسية على شكل حلقات.

قوله: ما من مدينة إلاّ ولها عرق إلى هذا الجبل! تصوير رائع آخر بالغ الدقة لرسم الخطوط المغناطيسية، التي تمر بكافة بقاع الأرض!.

قوله: رأسه ملصق بالسماء الدُّنيا، أي بالسماء القريبة تحديد آخر لمدى ارتفاع الخطوط الذي يبلغ بضعة آلاف الكيلومترات.

قوله: وأسفله بالأرض السابقة السُفلى: تحديد علمي آخر فيه دقة مدهشة! فلم يكتف بالقول الأرض السابعة حتى قال السفلى ليدلل على أنه في باطن الأرض أيضاً لأن الخطوط تدخل من القطب الشمالي إلى الجنوبي في عمق الأرض وفي أي مغناطيس آخر. وهذا ما يسمى بالقلب المغناطيسي للأرض. أنظر الرسم. علماً بأن طبقات الأرض سبع طبقات!.

قوله: وهو أول جبل أسسه الله. تحديد علمي آخر مدهش! فإن المغناطيسية كقوة طبيعية تكون مرافقة لتكون الأرض وجزء لا يتجزأ من طبيعة وجودها وكتلتها وهو قطعاً سابق على نشوء أي تضاريس جبلية! بل فيه إشارة إلى تكون الجبال فيما بعد! حسبما أثبتت العلوم الجيولوجية.

فما هو المثير للسخرية في هذا الحديث المقدس؟.

أهو قوله وإذا بملك قابض على الجبل؟

نعم إنه قابض بمجمع الخطوط الكائن في القطب وهو الذي يحدد زاوية الميل المحوري لكل كوكب. وفي الأرض تتحكم هذه الزاوية بكل مصيرنا ومستقبلنا! فليست الزلازل وحدها هي بفعل القابض على الجبل! لأن زاوية الميل هي التي تتحكم في تعرض الأرض لأشعة الشمس وبالتالي تتكوّن الرياح والأمطار.. والأنهار.. إن مصير البشر وأرزاقهم تتحكم بها زاوية الميل المحوري.

أما سر المغناطيسية فلا أحد يأمل في الوصول إليه:

نص رسمي: [.. وتجدر الإشارة إلى أن مغناطيسية الأرض معقدة جداً بالرغم من الفرض الجديد للالماني ولتر القائم على أساس التيارات المائعة

في قلب الأرض إذ لا زالت الحقائق عنها هزيلة والمعروف منها أمور متضاربة تجعل الحصول على نظريته عن أصل المغناطيسية الأرضية أمراً بعيد المنال.]!! . نظرية المجال/ كلية الهندسة.

وتشير معادلات ماكسويل في الحقل المغناطيسي إلى أن فيض الحقل يعتمد على قيمة الشكل المتجه للحقل وعلى القيمة الآنية للتمرير في المادة. وقيمة الشد تعتمد على حركة المحور وزاوية ميله.

ولذلك كان البيضاوي في (أنوار التنزيل) وابن منظور في (لسان العرب) يحومان حول المعنى من غير أن يعرفا أسراره:

البيضاوي: فلما ساوى بين الصدفين الصدف بالفتح والضم لغتان وكلاهما من (الميل) ولكن أي ميل لم يكن يدري؟ هكذا قالوا.

اللسان: والصدف منقطع الجبل المرتفع وبه قرأ ﴿سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾! . والصدف غشاء الدُرّة، صدفُ الدُرّة غشاؤها.

إن عبارة (منقطع الجبل) المرتفع ليست لغوية قطعاً بل تسربت إلى المعاجم من علماء القرآن فهناك على القطب تنقطع الخطوط الشبيهة بالجبال. ولا معنى آخر لعبارته.

وعلى معنى غشاء الدرة يطابق المعنى بصورة أكثر دقة. . فهو يتضمن معنى الخيوط ومعنى الإحاطة. . فكأن المغناطيسية أشبه بغشاء يغطي الأرض كغشاء الدرة في الصدف!.

هذه خلاصة شديدة التركيز لما يتضمنه هذا الحديث من أسرار وعدا ذلك فإن له صلة بالكثير من الآيات القرآنية ومعانيها[1].

---

(١) الطور المهدوي، ص٤٢ وما بعدها.

وإلى هنا يكون قد تم لدينا نظريات أربع حول يأجوج ومأجوج:

١ ـ النظرية التقليدية. وهي نظرية قائمة على الفهم التقليدي للآيات والروايات.

٢ ـ نظرية المغول والتتار. وهي نظرية تطبيقية.

٣ ـ نظرية المادية العالمية. وهي نظرية تعتمد على الفهم الرمزي للآيات والروايات وبخاصة الروايات.

٤ ـ نظرية الكائنات الفضائية. وهي نظرية قائمة على الحل القصدي للغة والمنهج اللفظي للقرآن.

ولنا أن نسأل أي من هذه النظريات أصح وأرجح؟؟ والجواب: إن كل نظرية قائمة على منهجٍ معين فعلينا أولاً أن نعترف بالمنهج ونتبناه حتى نعترف بالنظرية المتفرعة عنه، نعم إن النظرية الأولى مقبولة لأنها لم تعتمد التحليل ومحاولة الاسقاط على الواقع، ولذا نجد أن النظريات الثلاث الأخيرة لم تنكر النظرية الأولى بل تبنتها بحسب مناهجها الخاصة بها، وأما النظرية الثانية فهي تحاول إسقاط الآيات والنصوص على الواقع فيما أنه ليس من المعلوم ذلك اللهم إلا على سبيل الإحتمال، . وأما النظرية الثالثة وإن كانت غير واقعية من ناحية توصيفية بحسب الفرض إلا أنها نظرية تضم إلى الواقع من دون منافاة معه.

أما النظرية الرابعة فهي كما نرى قائمة على منهجية صعبة التفكيك فإن قبلنا بهذه المنهجية نقبل بها وإلا فلا، إلا أنها قريبة من مجريات الأحداث العلمية الأخيرة، فضلاً عن تخطيها للعقبات التي حالت دون فهم النصوص الغربية المتحدثة عن يأجوج ومأجوج، ولكننا لا نستطيع تبني هذه النظرية بنحو عام إلا عند دراسة المنهجية التي أنتجت هذه النظرية وغيرها، ودراسة هذه المنهجية تحتاج إلى وقت طويل ليس محله الآن.

هل خرجوا أم لا؟؟

من اليقين بأن يأجوج ومأجوج سوف يخرجون لاعتبارين اثنين:

الأول: اندكاك السد حيث قال تعالى حكاية عن ذي القرنين عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[1].

الثاني: صريح القرآن الكريم حيث صرح الله عزَّ وجل بخروج يأجوج ومأجوج بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[2].

فالخروج إذن متيقن، أما السؤال الجدير بالاهتمام هو: هل أن يأجوج ومأجوج خرجوا أم لا؟؟

بالحقيقة إن الجواب عن هذا السؤال يعود إلى استنتاجات سابقة على أساسها نعلم بخروجهم أم عدم خروجهم، ومن هنا فإن الإجابة عن الأسئلة الآتية تحدد ذلك، وهي:

١ ـ هل يأجوج ومأجوج هم بشر أم لا؟؟

٢ ـ هل يأجوج ومأجوج هم ظاهرة مفاهيمية رُمز إليها بمصطلح يوحي بأنهم بشر؟؟

---

(١) سورة الكهف، الآية:

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

٣ ـ هل يأجوج ومأجوج هم ظاهرة غير أرضية وبالتالي هم كائنات في كواكب أخرى؟؟

٤ ـ هل يأجوج ومأجوج يخرجون قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام أم لا؟؟

٥ ـ هل يأجوج ومأجوج يخرجون بعد ظهور المهدي عليه السلام أم لا؟؟

٦ ـ هل أن يأجوج ومأجوج يخرجون مقارنة مع نزول المسيح عليه السلام، أم أنهم يخرجون قبل نزوله أم أنهم يخرجون بعده عليه السلام؟؟

٧ ـ هل أن يأجوج ومأجوج هم من علامات يوم القيامة؟؟

٨ ـ هل أنهم إذا كانوا من علامات يوم القيامة أو من أشراط الساعة، فإنه لا يشترط بأشراط الساعة أن تكون قريبة من يوم القيامة؟؟

ووفقاً لهذه الأسئلة تأتي الإجابة، وعلى أي حال فإنه ووفقاً لصحة كونهم بشراً فهنا احتمالات:

الأول: بناءً على صحة نظرية أنهم المغول والتتار فإنهم خرجوا بلا شك، ولكننا لم نسمع باندكاك سد ما حين خروج المغول والتتار مع أن لهذا السد من الأهمية بحيث لا يخفى على الناس السماع باندكاكه، كما أن الروايات تحدثت عن موتهم فيما رأينا أنهم في نهاية المطاف قد دخلوا في الإسلام!!! فهذا الإحتمال ساقطٌ إذن.

الثاني: إذا لم تتحقق نظرية المغول والتتار فهذا يعني أنهم لم يخرجوا جزماً وذلك بالإعتماد على أنهم بشر.

أما إذا قلنا بأنهم ظاهرة مفاهيمية بناءً على أطروحة الشهيد السيد محمد صادق الصدر قدس سره فإنهم كمادية عالمية حديثة قد خرجوا بالمعنى

الرمزي للكلمة، أو أن بداية خروجهم قد حلّت، وعلى أبعد التقادير سيخرجون قبل ظهور المهدي عليه السلام.

وإنما قلنا بأنهم خرجوا ـ بالمعنى الرمزي ـ لأن المادية الحديثة قد غزت المسلمين وآذاقتهم الإحن والمحن كما لا يخفى، نعم ما زالت في بداية خروجها والآتي أعظم وأدهى!!

وأما بناءً على نظرية الكائنات غير الأرضية فإنهم لم يخرجوا بعد اللهم إلا إذا قلنا بأن غزو الغربيين لنا بواسطة الإمكانات التي حصّلوها من استخدام الفضاء قد تم وهو في اتساع واطراد، لكننا لا نعلم إذا كان المراد بالكائنات الفضائية كائنات جسمانية مستقلة، أم أن المراد أمر رمزي يشير إلى نفوذ البشر في الفضاء!!!

وعلى جميع هذه التقادير فإن قضية خروج يأجوج ومأجوج تتبلور بشكل أحسن وأفضل وأجلى من خلال الوقوف على الإجابة عن سؤال: متى يخرجون؟؟ والاحتمالات هنا ثلاثة:

الإحتمال الأول: خروجهم قبل ظهور المهدي عليه السلام، وقبل نزول المسيح عليه السلام وهنا يكون احتمال خروجهم سابقاً.

أقول وإن كان هذا ضعيفاً بنظرنا.

الإحتمال الثاني: خروجهم بعد ظهور المهدي عليه السلام، ومع نزول المسيح عليه السلام أو بعده، وهنا احتمال خروجهم سابقاً يكون ساقطاً بالكلية لماذا؟؟ لأن الإمام المهدي عليه السلام لم يظهر بعد فكيف لنا القول بأنهم خرجوا!!!

الإحتمال الثالث: إن خروجهم قبل قيام الساعة، وهنا اليقين بعدم خروجهم سابقاً متحققٌ كامل التحقق.

ومن هنا نعلم بأن احتمال تحقق خروج يأجوج ومأجوج في زمن مضى أو في أيامنا هذه مرهون بكونهم يخرجون قبل ظهور المهدي عليه السلام، وإذا ما ثبت لدينا عدم بشرية يأجوج ومأجوج، وعدم كونهم من الخارجين قبل ظهور المهدي عليه السلام فإن القول بأنهم المغول والتتار يكون ساقطاً وغير صحيح كلياً، بينما القول بعدم خروجهم سابقاً غير مرهون بكون موعد خروجهم قبل ظهور المهدي عليه السلام أو بعده، فربما يكون موعد خروجهم قبل ظهور المهدي عليه السلام ولكنهم لم يخرجوا سابقاً.

متى يخرجون؟؟

إن معرفة موعد خروج يأجوج ومأجوج مرتبط ارتباطاً وثيقاً وعضوياً بالآيات القرآنية الواردة بشأن يأجوج ومأجوج من جهة، وبالروايات الصادرة عن النبي ﷺ، والمعصومين عليهم السلام.

وقد صرحت الآيات والروايات بثلاث حقائق:

الحقيقة الأولى: أنهم حبسوا في دائرة السد المعروف بسد يأجوج ومأجوج.

الحقيقة الثانية: أنهم باتوا فترة غير قليلة داخل السد دون قدرتهم على تجاوزه لا من فوق ولا من تحت.

الحقيقة الثالثة: أنهم سيخرجون يوماً ما حتماً وذلك بعد اندكاك السد وانهدامه.

أما الحقيقة الأولى فواضحة من خلال قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[1] وقد أجابهم ذو القرنين عليه السلام إلى طلبهم، ونفذ مطلبهم ببناء السد.

وأما الحقيقة الثانية فواضحة من خلال قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[2] بناءً على إحدى التفسيرات، كما يؤكد ذلك ما جاء في

---

(١) سورة الكهف.

(٢) سورة الكهف.

الحديث من أن يأجوج ومأجوج يدأبون في حفر السد ليلهم ونهارهم حتى إذا تعبوا قالوا غداً نعيد الكرّة[1].

وأما الحقيقة الثالثة فتتوضح من خلال قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[2].

ومهما يكن من شيء فإنه وتبعاً للآيات والروايات يتوضح لدينا موعد خروج يأجوج ومأجوج، وقبل إعطاء النتيجية لا بد من الوقوف على ما حددته الآيات والروايات حول موعد خروج يأجوج ومأجوج، وذلك بالتالي:

١ ـ إن موعد خروجهم هو مجيء وعد الله عزَّ وجل، واقتراب الوعد الحق، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ... ﴿٩٧﴾﴾[4].

فتعبيره عزَّ وجلَّ بـ ﴿وَعْدُ رَبِّي﴾، ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾، شاهد على موعد خروج يأجوج ومأجوج، ولكن الخلاف وقع حول المراد بمجيء وعد الله، واقتراب الوعد الحق على ثلاثة أقوال بل أربعة.

الأول: قبل ظهور المهدي عليه السلام، ونزول المسيح عليه السلام.

الثاني: بعد ظهور المهدي ونزول المسيح عليه السلام.

الثالث: قبل قيام القيامة.

الرابع: موعد خروج يأجوج ومأجوج مطلقاً.

---

(١) قصص الأنبياء، م. س.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٨.
(٤) سورة الأنبياء، الآيتان ٩٦ ـ ٩٧.

٢ ـ إن موعد خروجهم هو قريب من عهد الرسول ﷺ، وهذا ما يوحي به الحديث المروي عنه ﷺ حيث ورد أنه عليه الصلاة والسلام استيقظ من نومه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»[1]، وعقد عشراً.

وهذا الحديث يوحي بدواً بأن موعد خروج يأجوج ومأجوج قريب من عهده ﷺ، ويتبادر إلى الذهن مباشرة هجوم المغول والتتار على البلاد الإسلامية.

ولكن هذا يختلف اختلافاً تاماً فيما لو أعملنا التحقيق.

٣ ـ إن موعد خروج يأجوج ومأجوج في عهد نزول عيسى عليه السلام، وفي الحديث: فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يُدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها ثم يمر آخرهم فيقولون: لقد كان في هذا ماء مرة».

«ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم. ويرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة».

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الإرض موضع شبر، إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يرسل الله مطراً لا يُكنُّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى

---

(١) م. س

يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك. فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها. ويبارك الله في الرسل حتى أن اللقمة من الإبل لتكفي ألفاً من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة، واللقمة من الغنم لتكفي الفخذ»[1].

فهنا عدة نقاط:

الأولى: حضور نبي الله عيسى عليه السلام في موعد خروج يأجوج ومأجوج.

الثانية: أن المسيح عليه السلام يحصن المؤمنين ـ «فحرز عبادي إلى الطور» ـ من أذى يأجوج ومأجوج.

الثالثة: أن يأجوج ومأجوج يموتون بدعاء عيسى عليه السلام وأصحابه «ويرغب نبي الله عيسى وأصحابه».

٤ ـ أن موعد خروجهم حين قيام الساعة، فقد قال ﷺ: «لن تكون أولن تقوم الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات: . . . وعد منها: خروج يأجوج ومأجوج»[2].

٥ ـ أن موعد خروجهم في ظل وجود المسلمين، وزوالهم أيضاً في ظل وجود المسلمين، وفي الحديث عنه ﷺ: «سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين»[3].

والآن وبعد عرض هذه المواعيد الخمسة لا بد من مناقشة هذه المواعيد شيئاً فشيئاً:

---

(١) م. س.
(٢) الإلهيات للسبحاني.
(٣) م. س.

١ ـ مناقشة الموعد الأول: وهو موعد مجيء وعد الله عزَّ وجلَّ واقتراب الوعد الحق، وهنا نناقش الإحتمالات الأربعة التي ذكرناها سابقاً، ونذكرها هنا وهي:

الأول: موعد خروجهم مطلقاً، وهذا لا يفيدنا بشيء لأنه أمر يقيني.

الثاني: قبل قيام القيامة، أي الإلتزام بأن موعد خروج يأجوج ومأجوج هو موعد تحقق أشراط الساعة وعلامات القيامة، وهذا الموعد مبني على قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[١].

والآية غير متضمنة لتعيين ما جاء من الأشراط، لكن قال ابن عباس: «والنبي من أشراطها، ولقد قال بُعثت أنا والساعة كهاتين»[٢].

وكون بعثة النبي من معالم الساعة، لا ينافي وجوده هذه الفترة الطويلة بينه وبين القيامة، وذلك لأن ما مضى من عمر الأرض والمجتمع الإنساني أزيد بكثير مما بقي منه، فيصح جعل ظهوره من معالم الساعة»[٣].

هذا ومما يرجح عدم احتمال كون موعد خروج يأجوج ومأجوج من موعد دنو قيام القيامة:

أولاً: إذا كانت بعثة النبي ﷺ من أشراط الساعة، وقد بعث ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فمن باب أولى كون موعد خروج يأجوج ومأجوج قبل دنو قيام القيامة بزمن طويل، ومن هنا فإن كون موعد خروج يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة لا ينافي خروجهم قبل ظهور المهدي عليه السلام ونزول المسيح عليه السلام أو بعد ذلك.

---

(١) محمد، ١٨.

(٢) الإلهيات للسبحاني، ج٤، ٢٤٢.

(٣) م. ن.

ثانياً: إن قوله ﷺ «ويل للعرب من شر قد اقترب» يدل على سبق خروج يأجوج ومأجوج عن موعد القيامة القريب جداً.

ثالثاً: إن وجود خوف بين المسلمين من ظاهرة يأجوج ومأجوج كما ورد في الروايات من قبيل: «تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون... فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون، حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم»[1].

إن وجود هذا الخوف يدل دلالة واضحة على أن هذا الخوف حاصلٌ قبل ظهور المهدي عليه السلام لأنه وبعد ظهوره عليه السلام لا يوجد ثمة خوف، لأن الله عزَّ وجل يقول: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾[2] وذلك بعد قيام المهدي عليه السلام.

نعم يمكن كون احتمال موعد خروجهم حين قيام الساعة قوياً من خلال سياق الآيات الواردة بشأن يأجوج ومأجوج، فتعبير ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ﴾، ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾، من دلالات القيامة.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[3]. ولكن هذا الفهم من سياق الآيات يمكن التنازل عنه لصالح القول بأن الوعد الحق هو ظهور المهدي عليه السلام من خلال القول بأن: «تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة بعد الظهور، يصوغ المجتمع البشري بشكل جديد وقويم لا قبل

---

(١) م. س.
(٢) النور، ٥٥.
(٣) الأنبياء، ٩٧.

للكافرين والمنحرفين به، ومعه يكون من الطبيعي أن تكون ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. ومن الطبيعي أيضاً أن يقولوا في ذلك المجتمع الكريم: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا﴾ في عصر الغيبة الكبرى: عصر الفتن والإنحراف: ﴿فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فاشلين في التمحيص الإلهي.

والتوبة لا تكون مقبولة من المنحرفين الراسبين في التمحيص، بل يبادر الإمام المهدي عليه السلام لقتلهم واستئصالهم جملة وتفصيلاً على ما سيأتي في التاريخ القديم. ومن هنا يذهبون بسرعة إلى جهنم طبقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ من أشخاص ومصالح، كانت مقدسة من عهد الفتن والإنحراف ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾[1].

والخلاصة في هذا المقام أن أرجحية عدم كون موعد خروجهم قبل قيام الساعة بقليل قائمة، ولا أقل من عدم دلالة هذا الاحتمال على نفي الإحتمالات الآخرى، وذلك لأن قرب القيامة يصدق على أحداث ما قبل ظهور المهدي عليه السلام وما بعده.

الثالث: أي بعد ظهور المهدي ونزول المسيح عليه السلام.

وهذا مما يتعارض مع أمرين اثنين على أقل التقادير:

١ ـ أن الروايات أظهرت بأن المسلمين خائفين وهذا لا محل له بعد قيام المهدي ونزول المسيح عليه السلام وقيام الدولة العالمية الآمنة من كل خوف.

٢ ـ إن الروايات الواردة حول ما بعد ظهور المهدي عليه السلام، ونزول المسيح عليه السلام خالية من ذكر يأجوج ومأجوج.

---

(١) سورة الأنبياء، ٩٨، راجع موسوعة المهدي (عج).

الرابع: قبل ظهور المهدي عليه السلام ونزول المسيح عليه السلام، وهذا ما نرجحه للأمور التالية:

١ ـ بانضمام جميع الكلام الذي سبق.

٢ ـ انتشار الخوف بين المسلمين وهذا يدل على عدم هيمنة المسلمين وسيطرتهم، بينما نرى بأن للمسلمين الأمن والاستقرار بعد قيام المهدي عليه السلام.

٣ ـ عدم تعرض الروايات المتحدثة عما بعد الظهور ليأجوج ومأجوج.

٤ ـ إن ظاهرة يأجوج ومأجوج في حال كانت ظاهرة بشرية فإن الفصل بين المصلحين والمفسدين سوف يتحقق عند ظهور المهدي عليه السلام، وبعد ذلك سوف تكون الظواهر تكوينية لا بشرية.

وقد يقال بأنه جاء في الأخبار بأن خروج يأجوج ومأجوج يكون عند نزول المسيح عليه السلام، وقد ظهرت الأخبار بأن نزول المسيح عليه السلام متأخر زماناً عن ظهور المهدي عليه السلام، فيكون خروج يأجوج ومأجوج بعد ظهور المهدي عليه السلام، ولكن يقال للجواب عن ذلك:

أولاً: إن الروايات المتحدثة عن مرحلة ما بعد الظهور لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى يأجوج ومأجوج مع أن ظاهرتهم لا تخفى شهرتها.

ثانياً: إن الخبر الوارد عن المسيح عليه السلام وكيفية تعامله مع يأجوج ومأجوج، مسكوت عنه في الروايات الكثيرة الباقية.

نعم ثمة روايات تتحدث عن انتشار يأجوج ومأجوج بعد الظهور، وفي الحديث: «ويظهر المسلمون فيكسرون الصليب ويقتلون الخنزير ويضعون الجزية فبينما هم كذلك أخرج الله أهل يأجوج ومأجوج...»[1].

---

(١) م. س.

ولكن كما ذكرنا فإن هذا معارض بالاخبار المتضمنة لوجود الخوف بين المسلمين وهو منتفٍ بعد قيام المهدي عليه السلام بلا شك، كما أن أحداث ما بعد الظهور لم تشر صراحة ولا حتى تلميحاً إلى ظاهرة يأجوج ومأجوج.

ومهما يكن فإن احتمال موعد خروج يأجوج ومأجوج قبل ظهور المهدي عليه السلام قويٌ جداً سيما إذا أضفنا إلى ما ذكرناه، تشبيه المهدي عليه السلام بذي القرنين عليه السلام، وفي الحديث عن الباقر عليه السلام: «إن ذا القرنين قد خير بين السحابين، واختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب. قال: قلت وما الصعب؟ قال: كل سحاب فيه رعد وبرق وصاعقة وبرق فصاحبكم يركبه، أما أنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع خمس عوامر واثنتان خرابان»[1]، والمراد بقوله صاحبكم المهدي عليه السلام كما ورد ذلك في بعض التفاسير.

ومما يُرجح القول بأن موعد خروج يأجوج ومأجوج هو قبل ظهور المهدي عليه السلام، تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بأن المراد بوعد ربي أي ظهور المهدي عليه السلام.

ولئن قلنا بأن احتمال موعد خروج يأجوج ومأجوج قبل قيام القائم المهدي عليه السلام هو احتمال قوي؛ إلا أنه ليس أمراً يقينياً كما لا يخفى.

وإذا عرفنا خلاصة ما توصلنا إليه فإنه يظهر لدينا عدم منافاة ما استخلصناه من نتيجة، مع مواعيد خروج يأجوج ومأجوج الخمسة التي ذكرناها، فقول النبي صلى الله عليه وآله «ويل للعرب من شر قد اقترب» لا ينافي ذلك، كما أنه لا ينافي كون ذلك في عهد المسلمين، ولا ينافي ذلك كون موعد خروجهم قبل قيام الساعة لأن ظهور المهدي عليه السلام أيضاً هو قبل قيام الساعة.

---

(١) قصص الأنبياء.

ما هي أوصاف يأجوج ومأجوج؟؟

إذا فهمنا ظاهرة يأجوج ومأجوج بأنها ظاهرة رمزية، فإن أوصافهم تتوافق مع ظواهر وظروف الزمان الذي تبرز فيه ظاهرتهم.

أما إذا فهمنا ظاهرتهم بوصفهم ظاهرة بشرية أو قريبة من ذلك، فقد ذكرت العديد من المواصفات، ومن ذلك:

١ ـ أجسامهم نحيفة وقاماتهم قصيرة، وبعض الروايات وصفتهم بالعكس من ذلك أي أجسامهم ثقيلة وضخمة وقاماتهم طويلة.

٢ ـ صنف منهم يشبه شجر الأرز الموجود في لبنان وفي غيره.

٣ ـ صنف منهم طولهم وعرضهم بنفس القياس.

٤ ـ صنف منهم أذنه كبيرة بحيث أنه يجعلها فراشاً، والأذن الأخرى كبيرة بحيث أنه يجعلها غطاءً.

٥ ـ هم أشد شبهاً بالبهائم.

٦ ـ فيهم ذكور وإناث ويشبهون الناس بأجسادهم ووجوههم وخلقتهم.

٧ ـ أبدانهم ناقصة جداً.

٨ ـ هم متساوون في الخلقة والطول على قول، وقيل أن بعضهم طوله خمسة أشبار.

٩ ـ هم عراة، حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون.

١٠ ـ عليهم وبر كوبر الإبل.

١١ ـ لكل واحد منهم أُذنان أُذن ذات شعر والأخرى ذات وبر في ظاهرهما وباطنهما.

١٢ ـ لهم مخالب في موضع الأظفار وأضراس وأنياب كالسباع.

١٣ ـ رزقهم من سمك البحر تقذنه عليهم السحاب.

١٤ ـ ينتظرون المطر في أيامه، وكل معيشتهم قائمة على أكل السمك المقذون من السحاب.

١٥ ـ إذا لم يأكلوا سمك أو حيتان البحر جاعوا وأكلوا كل شيء أمامهم.

١٦ ـ يمشون متراصين.

١٧ ـ لهم رائحة نتنة جداً، ونجاستهم مؤذية.

١٨ ـ لا يغلبهم شيءٌ حتى الوحوش والسباع.

١٩ ـ كل واحد منهم يعرف متى يموت.

٢٠ ـ لا يموت الواحد منهم ذكراً أو أنثى حتى يلد أو تلد ألف ولد، فإذا ولد الواحد منهم ألف ولد برز للموت لوحده.

وهذه الأوصاف تتضمن من الغرائب والعجائب ما يدفعنا إلى القول بأن الأخذ بهذا الظاهر لا يمكن للعقل البشري أن يقبله، ولذا فلا بد من التأويل وأخذ هذه الأوصاف على أساس الفهم الرمزي والمجازي حتى ينسجم مع المعايير العقلية، وتتوافق مع أحداث المستقبل الآتية.

أين هو موقع السد ويأجوج ومأجوج؟؟

بناءً على رمزية ومجازية ظاهرة يأجوج ومأجوج فلا يكون الحديث هنا عن موقع وموطن يأجوج ومأجوج مجدياً، وكذلك فإنه وبناءً على القول بنظرية كون يأجوج ومأجوج من الكائنات الفضائية، وبالتالي فهم ليسوا كائنات أرضية؛ فإن الحديث عن موقع وموطن يأجوج ومأجوج أيضاً لا نفع فيه، وذلك لأن حديثنا ينصب عن الموقع والموطن الأرضي.

أما بناءً على أن يأجوج ومأجوج من سكان الأرض وهم من جنس البشر فيصبح الحديث صحيحاً وفي إطاره الصائب.

وإذا ما عرفنا ذلك فالسؤال الوجيه الآن هو: أين يقع السد؟؟

وأين قطن يأجوج ومأجوج؟؟ وإلى أين توجه الإلهي العظيم المعروف بذي القرنين عليه السلام؟؟

وقبل ذكر الاحتمالات الواردة في ذلك، لا بد من ذكر نقطة مهمة في البين خلاصتها: إن موقع السد، وموطن يأجوج ومأجوج، وموطن الرحلة الثالثة لذي القرنين عليه السلام، وموطن الأقوام الذين تمت مساعدتهم من قبل ذي القرنين عليه السلام ببناء السد، إن كل هذه المواطن يجمعها موطن وموقع واحد لأن أحوالهم كانت واحدة، فبناء السد مرتبط ارتباطاً عضوياً بذي القرنين عليه السلام، وبيأجوج ومأجوج، وبالأقوام القاطنين هناك.

أما الاحتمالات الواردة حول موقع السد ويأجوج ومأجوج فهي الآتية:

الإحتمال الأول: قيل أن السد هو سد مأرب الذي يقع في اليمن، وهذا القول مبني على أن ذا القرنين هو من أحد ملوك اليمن الحميريين. ولكننا لا يمكن لنا الركون إلى هذا القول لاعتبارات عدة منها:

١ ـ أن ملوك حمير لم يتصفوا بالأوصاف القرآنية التي كان يتصف بها الإلهي المعروف بذي القرنين عليه السلام.

٢ ـ أن الأحداث التي جرت مع ذي القرنين عليه السلام حدثت بعد النبي نوح عليه السلام، وملوك حمير من المتأخرين زماناً.

٣ ـ أنه إذا احتملنا نظرية الوحي الإلهي لذي القرنين عليه السلام، فإن أحداً من ملوك حمير لم يكن نبياً.

٤ ـ أن ذا القرنين أوتي من كل شيءٍ سبباً، وسار في الظلمة والنور، والتقى مع الخضر عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام، وأي من ملوك حمير لم يتسنى له ذلك.

٥ ـ إن سد يأجوج ومأجوج بني من الحديد والنحاس وسد مأرب من الحجارة والباطون أو (الطابوق).

٦ ـ ذو القرنين إذا كان أحد ملوك حمير بحسب الفرضية فلا يعني بالضرورة أن يكون السد هو سد «مأرب»، لأننا نعرف بأن لذي القرنين رحلات تخطت موطنه الأم.

٧ ـ إن الغاية من بناء سد مأرب هي لأجل حبس الماء ومنعها من الغور تحت الأرض، أما الغاية من بناء سد يأجوج ومأجوج فهي لمنعهم من تجاوزه وإلحاق الأذى بالبلاد والعباد.

الاحتمال الثاني: أن موطن يأجوج ومأجوج هذ في بلاد التبت والصين ممتداً إلى البحر المتجمد، وأن سد ذي القرنين يقع وراء جيحون في عمالة بلخ، واسمه الآن باب الحديد وهو بمقربة من مدينة ترمذ».

وصاحب هذا الاحتمال هو الشيخ المراغي، ولكن هذا الاحتمال مبني على أن يأجوج ومأجوج هم المغول والتتار، فيأجوج هم التتار، ومأجوج هم المغول.

وهذا الإحتمال أيضاً لا يمكن الركون إليه لعدة اعتبارات منها:

١ ـ أن الروايات تحدثت عنهم بوصفهم لا يغلبون، وبأنهم يموتون بإرادة إلهية، أو بدعاء المسيح عليه السلام، أما المغول والتتار فقد هزموا في بعض الأحايين كما حصل مع انتصار الظاهر بيبرس وقطز[1] عليهم، كما أنهم لم يموتوا كما ورد في الأخبار باعجاز إلهي أو بدعاء المسيح عليه السلام عليهم، بل دخل جمع غفير منهم في الإسلام كما لا يخفى[2].

٢ ـ إن اندكاك السد من العلامات المهمة لاقتراب الساعة، ولكننا بالوجدان لم نسمع حين خروج المغول والتتار باندكاك سدٍ ما، وأما قول الشيخ مغنية في معرض تأييده لقول الشيخ المراغي: «أما نحن فنميل إلى قول المراغي لأنه أقرب إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ فإنا نفهم منه أن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض بعد خراب السد، ويفسدون على الناس حياتهم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[3]، هذا، إلى أنه لو كان المراد بمجيء

---

(١) من قادة المماليك.

(٢) وذلك بفضل جهود الخواجة نصير الدين الطوسي «قده».

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

وعدة تعالى يوم القيامة أو بعد الدجال لكان السد موجوداً الآن كما هو.. ومن الواضح أنه لو كان لبان، بخاصة وقد جعل العلم الكرة الأرضية وسكانها أشبه بالأسرة الواحدة يضمها بيت واحد»[1].

أما قوله رحمه الله فهو يحتج عليه بالعكس أيضاً، حيث أن خروج المغول والتتار لم يصاحبه ذكر لسد ما مع أن للسد شهرة لا تخفى خاصة أن الله عزَّ وجل قرنه بمجيء الوعد الحق، كما أن السد إذا كان من ناحية المغول والتتار فهو لم يعلم عنه شيئاً مثل خروجهم، بالإضافة إلى أن أوصاف المغول والتتار من ناحية الجسم، والطول، والعرض، والأذن وما شاكل لا تتطابق مع أوصاف يأجوج ومأجوج في الأخبار.

٣ ـ إن الصورة التي أعطيت ليأجوج ومأجوج هي أعظم بكثير من الصورة التي ظهر عليها المغول والتتار.

٤ ـ لم يعلم بأن المغول والتتار كانوا محجوزين داخل سد ما، وكل ما عُرف عنهم بأنهم كانوا يعيشون في تلك الأمكنة النائية حياة قبلية تقليدية عادية.

نعم هناك تشابه بين المغول والتتار وبين يأجوج ومأجوج في قضية الافساد، والقتل، والهمجية، والكثرة الكاثرة، ولكن هذا التشابه لا يوجب اتحادهما، سيما وأننا نرى، وبالوجدان بأن أمريكا واسرائيل في أيامنا هذه يفعلون أكثر بكثير مما وصف به يأجوج ومأجوج فهل نقول بأن أمريكا هي يأجوج وإسرائيل هي مأجوج؟!!!

ومن المهم الإشارة إلى أن صاحب الميزان قد تبنى ما هو قريب من هذا القول فقال ما نصه: «ويقرب حينئذٍ أن يحدس أن ذا القرنين هذا هو

---

(١) م. س.

أحد الملوك العظام الذين سدوا الطريق على هذه الأمم المفسدة في الأرض، وأن السد المنسوب إليه يجب أن يكون فاصلاً بين منطقة شمالية من قارة آسيا وجنوبها كحائط الصين أو سد باب الأبواب أو سد داريال» أو غير هذه. وقد تسالمت تواريخ الأمم اليوم من أن ناحية الشمال الشرقي من آسيا وهي الأحداب والمرتفعات في شمال الصين كانت موطناً لأمة كبيرة بدوية همجية لم تزل تزداد عدداً وتكثر سواداً فتكر على الأمم المجاورة لها كالصين وربما نسلت من أحدابها وهبطت إلى بلاد آسيا الوسطى والدنيا وبلغت إلى شمال أوروبا فمنهم من قطن في أرضٍ أغار عليها كأغلب سكنة أوروبا الشمالية فتمدين بها واشتغل بالزراعة والصناعة، ومنهم من رجع ثم عاد وعاد.

وهذا أيضاً مما يؤيد ما استقربناه آنفاً أن السد الذي نبحث عنه هو أحد الأسداد الموجودة في شمال آسيا الفاصلة بين الشمال وجنوبه»[1].

كما أن هذا الكلام موافق لما نُقل عن فاكهة الخلفاء وتهذيب الأخلاق لابن مسكويه وغيرها من المصادر من أن «يأجوج ومأجوج هم الأمم الذين كانوا يشغلون الجزء الشمالي من آسيا تمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط المتجمد الشمالي وتنتهي غرباً بما يلي بلاد تركستان»[2].

كما أن صاحب كتاب الأمثل أيّد هذا الكلام مع تغيير طفيف حيث قال: «ثم أدلة تاريخية على أن منطقة شمال شرقي الأرض في نواحي «مغولستان» كانت في الأزمنة السابقة كثيفة السكان، إذ كانت الناس تتكاثر بسرعة، وبعد أن ازداد عددهم اتجهوا نحو الشرق أو الجنوب، وسيطروا على هذه الأراضي وسكنوا فيها تدريجياً.

---

(١) راجع الميزان في تفسير القرآن.

(٢) م. س.

وقد وردت مقاطع تأريخية مختلفة كحركة هؤلاء الأقوام وهجماتهم، وقد تمت واحدة من هذه الهجمات في القرن الرابع الميلادي تحت قيادة «آتيلا»، وقد قضت هذه الهجمة على حضارة الأمبراطورية الرومانية. وقد كان آخر مقطع تأريخي لهجومهم في القرن الثاني عشر الميلادي بقيادة «جنكيزخان» حيث هاجم شرق البلاد الإسلامية ودحر العديد من المدن وفي طليعتها مدينة بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وفي عصر كورش في حوالي عام (٥٠٠) قبل الميلاد قامت هذه الأقوام بعدة هجمات، ولكن موقف حكومة «مادوفارس» إزاءهم أدى إلى تغيير الأوضاع واستتباب الهدوء في آسيا الغربية التي نجت من حملات هذه القبائل.

وبهذا يظهر أن يأجوج ومأجوج هم من هذه القبائل الوحشية حيث طلب أهل القفقاز من «كورش» عند سفره إليهم أن ينقذهم من هجمات هذه القبائل، لذلك أقدم على تأسيس السد المعروف بسد ذي القرنين»[1].

ولا يخفى بأن ما قاله صاحب الأمثل مبني على كون «كورش» الأخميني هو المعروف بذي القرنين.

ومهما يكن من شيء فإن الاحتمال الثاني مشهور جداً، فجغرافية السد، ويأجوج ومأجوج، وأقوام المضيق الجبلي، تقع في القارة الأسيوية، وأكثر ما تتمحور في نواحي الصين وتمتد إلى غيرها من البلدان.

ولكن الله عزَّ وجل أعلم بالواقع، والشهرة لا تجعل الإحتمال يقيناً.

هذا ولا يخفى على أحد أن الناس وبمجرد أن تسمع بيأجوج ومأجوج تنصرف أذهانها إلى تلك النواحي الأسيوية كالصين واليابان وغيرهما.

---

(١) مجلد ٩، ٣١٦.

وخلاصة القول في موقع السد ويأجوج ومأجوج أنه قيل بأن يأجوج ومأجوج كان وجودهم في القارة الأسيوية على نحو العموم، وفي نواحي الصين على نحو خاص.

أما السد فكذلك قيل بأنه في تلك الأماكن، أما اسم السد فتراوح بين هذه الأسماء:

١ ـ سد مأرب، الموجود في اليمن.

٢ ـ باب الحديد، الموجود بمقربة من مدينة ترمذ.

٣ ـ سور الصين.

٤ ـ سد باب الأبواب في قارة آسيا.

٥ ـ سد داريال. الموجود في تلك النواحي أيضاً.

وقيل بأن السد موجود في ما يعرف بمثلث برمودا الذي حدثت فيه أحداث غريبة، ولكننا لا نعلم بأن مثلث برمودا له طبيعة مغايرة لطبيعة باقي الأماكن، أو أن المادية العالمية تريد أن تجعله ظاهرة عجيبة لصرف أنظار الناس عن أفعال أهلها الخسيسة ومما يؤكد ذلك السكوت عن ظاهرة مثلث برمودا في هذه الأعصار مع أنه لو صح ما قيل عنه لكان الاهتمام به أمراً ملحاً.

إشارة إلى أمين الإسلام الطبرسي قال: قيل أن السد يقع وراء دربند وخزر من ناحية أرمينية وأذربيجان»[1].

---

(١) مجمع البيان.

ما هي صفة السد؟؟

ورد في بناء السد وصفته أن ذا القرنين عليه السلام دل أقوام المضيق الجبلي «على معدن الحديد والنحاس فضرب لهم في جبلين حتى فتقهما واستخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس، قالوا: فبأي قوة نقطع هذا الحديد والنحاس.

فاستخرج لهم من تحت الأرض معدناً آخر يقال له السامور ـ الألماس ـ وهو أشد شيء بياضاً وليس شيء منه يوضع على شيء إلا ذاب تحته، فصنع لهم منه أداة يعملون بها، وبه قطع سليمان بن داوود أساطين بيت المقدس، وصخوره جاءت بها الشياطين من تلك المعادن، فجمعوا من ذلك ما اكتفوا به فأوقدوا على الحديد النار، حتى صنعوا منه زبراً مثل الصخور فجعل حجارته من حديد ثم أذاب النحاس فجعله كالطين لتلك الحجارة ثم بنى وقاس ما بين الجبلين فوجدة ثلاثة أميال، فحفروا له أساساً حتى كاد يبلغ الماء وجعل عرضه ميلاً وجعل حشوة زبرالحديد وأذاب النحاس فجعله خلال الحديد فجعل طبقة من نحاس وأخرى من حديد ثم ساوى الردم بطول الصدفين فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد»[1].

---

(١) فصص الأنبياء، الآية: ١٨٣.

وورد أن موضع السدين أي الجبلين اللذين بُني سد يأجوج ومأجوج بينهما هو بين أرمينية وأذربيجان، وحكى الطبري في تاريخه عن صفة السد: «أن صاحب أذربيجان أيام فتحها وجه إنساناً إليه من ناحية الخزر فشاهده ووصف أنه بنيان رفيع وراء خندق عميق وثيق منيع»[1].

والسؤال المطروح ها هنا هو: ما هو هذا السد الذي يمنع كل هذه الجموع الغفيرة من تجاوزه، علماً بأن أوصافهم وأفعالهم في الروايات توحي بأنهم ممن لهم قدرة على شرب الأنهار، وقتل الوحوش والسباع والفيلة وأكلهم.

ومن هنا فإن التفسير الرمزي للسد هو أقرب للفهم البشري، كما أن تفسير سد ذي القرنين بالصورة التي فسرها العالم النيلي هي أيضاً أقرب للعلم وللفهم.

نعم يمكن الأخذ بقول من قال بأن السد هو سد مادي حقيقي إذا ما صح ما قيل بأن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع، وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً»[2].

ولكن حتى هذا المقدار يمنع الناس العاديين؛ لا بأوصاف اتصفت بها يأجوج ومأجوج.

---

(١) تفسير الرازي، ج٢١، ٤٩٨.
(٢) مجمع البيان، ص٣٨٩.

الروايات المتفرقة في يأجوج ومأجوج

نعمد هنا إلى ذكر عدة روايات متفرقة بشأن يأجوج ومأجوج وهي:

١ ـ روى حذيفة قال: سألت النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال: «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كل قد حمل السلاح». قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: «هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز، ـ وهي شجر بالشام ـ وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش، ولا جمل، ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية»[1].

٢ ـ جاء في الحديث عن يأجوج ومأجوج وحبسهم في السد: «إنهم يدأبون في حفره نهارهم، حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس، قالوا: نرجع غداً ونفتحه، ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان، حتى إذا جاء وعد الله، قالوا: غداً نفتح ونخرج إن شاء الله. فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس، فيخرقونه ويخرجون على الناس،

---

(١) مجمع البيان، ص٣٨٧.

فينشفون المياه، ويتحصن الناس في حصونهم منهم، فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم، فيدخل في آذانهم فيهلكون بها. فقال النبي ﷺ: والذي نفس محمد بيده! إن دواب الأرض لتسمن وتسكر من لحومهم سكراً»[1].

٣ ـ ورد أن ذا القرنين عليه السلام حين رجع من المغرب عطف نحو أقوام المضيق الجبلي، وكان هناك «أمة يقال لها يأجوج ومأجوج أشباه البهائم يأكلون ويشربون ويتوالدون وهم ذكور وإناث وفيهم مشابهة من الناس بالوجوه والأجسادوالخلقة ولكنهم قد نقصوا في الأبدان نقصاً شديداًوهم في طول الغلمان لا يتجاوزون خمسة أشبار وهم على مقدار واحد في الخلق والصور عراة حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون، عليهم وبر كوبر الإبل يواريهم ويسترهم من الحر والبرد ولكل واحد منهم أُذنان إحداهما ذات شعر والأخرى ذات وبر ظاهرهما وباطنهما ولهم مخالب في موضع الأظفار وأضراس وأنياب كالسباع، وإذا نام أحدهم افترش احدى أذنيه والتحف الأخرى فتسعه لحافاً، وهم يرزقون نون البحر كل عام يقذفه عليهم السحاب، فيعيشون به ويستمطرون في أيامه كما يستمطر الناس المطر في أيامه، فإذا قذفوا به اخصبوا وسمنوا وتوالدوا وأكثروا فأكلوا منه إلى الحول المقبل ولا يأكلون منه شيئاً غيره وإذا أخطأهم النون جاعوا وساحوا في البلاد فلا يدعون شيئاً أتوا عليه إلا أفسدوه وأكلوه وهم أشد فساداً من الجراد والآفات وإذا أقبلوا من أرض إلى أرض جلا أهلها عنها وليس يغلبون ولا يدفعون حتى لا يجد أحد من خلق الله موضعاً لقدمه ولا يستطيع أحد أن يدنو منهم لنجاستهم وقذارتهم فبذلك غلبوا وإذا أقبلوا إلى الأرض

---

(١) م.ن، ص٣٨٩.

يُسمع حسهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم، كما يُسمع حس الريح البعيدة ولهم همهمة إذا وقعوا في البلاد كهمهمة النحل إلا أنه أشد وأعلى، وإذا أقبلوا إلى الأرض حاشوا وحوشها وسباعها حتى لا يبقى فيها شيء، لأنهم يملأون ما بين أقطارها ولا يتخلف وراءهم من ساكن الأرض شيء فيه روح إلا اجتلبوه، وليس فيهم أحد إلا وعرف متى يموت وذلك من قبل أنه لا يموت منهم ذكر حتى يولد له ألف ولد ولا تموت أنثى حتى تلد ألف ولد، فإذا ولدوا الألف برزوا للموت وتركوا طلب المعيشة.

ثم أنهم أجفلوا في زمان ذي القرنين يدورون أرضاً أرضاً وأمة أمة وإذا توجهوا لوجه لم يعدلوا عنه أبداً. فلما أحسسته تلك الأمم بهم وسمعوا همهمتهم استغاثوا بذي القرنين وهو نازل في ناحيتهم، قالوا له فقد بلغنا ما آتاك الله من الملك والسلطان وما أيدك به من الجنود ومن النور والظلمة، وإنّا جيران يأجوج ومأجوج وليس بيننا وبينهم سوى هذه الجبال وليس لهم إلينا طريق إلا من هذين الجبلين لو مالوا علينا أجلونا من بلادنا ويأكلون ويفرسون الدواب، والوحوش كما يفرسها السباع ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيّات والعقارب وكل ذي روح ولا نشك أنهم يملأون الأرض ويجلون أهلها منها، ونحن نخشى كل حين أن يطلع علينا أوايلهم من هذين الجبلين، وقد آتاك الحيلة والقوة ﴿قَالُوا يَذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾[1].

وقد بنى لهم عليه السلام السد وحصنهم من يأجوج ومأجوج كما لا يخفى.

---

(١) قصص الأنبياء، ١٨٢ ـ ١٨٣.

٤ ـ عن ابن عباس قال: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق فقال: خلق الله ألفاً ومائتين في البر، وألفاً ومائتين في البحر، وأجناس بني آدم سبعون جنساً، والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج»[1].

٥ ـ أخرج مسلم وابن ماجة عن النواس بن سمعان عن رسول الله، حديثاً مطولاً يذكر في أوله الدجال وبعض صفاته وأفعاله. ثم يذكر نزول عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

ثم يقول ـ واللفظ برواية مسلم ـ: «فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدن لأحدٍ بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور.

ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم يمر آخرهم فيقولون: لقد كان في هذا ماء مرة. ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم. ويرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يرسل الله مطراً لا يُكنُّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة ثم يُقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها. ويبارك الله في الرسل حتى أن اللقحة

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، مجلد ٦، ص٢٨٦.

من الإبل لتكفي ألفاً من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ»[1].

٦ ـ وأخرج مسلم بسند آخر عن يزيد بن جابر مثل ما ذكر في الحديث الأول وزاد: «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا أهل الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون نشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماء»[2].

٧ ـ أخرج ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ، قال: «تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[3] فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون، حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم، حتى إنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذرون فيه شيئاً، فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء.

ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، ولننازل أهل السماء حتى إن أحدهم يهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون: لقد قتلنا أهل السماء.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله دواب كنغف الجراد فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضاً.

فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حساً فيقولون: من رجل يشتري نفسه وينظر ما فعلوا؟ فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم

---

(١) م. س.
(٢) م. س، راجع أحداث الظهور.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

موتى، فيناديهم: ألا أبشروا، فقد هلك عدوكم فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكر ـ أي تسمن ـ عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط»[1].

٨ ـ أخرج الصحيحان وغيرهما بالإسناد عن زينب بنت جحش قالت: إن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد سفيان بيده عشرة، قلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبيث»[2].

ويذكر أن سفيان جوّد هذا الحديث لهذا عقد سفيان بيده عشرة إشارة إلى كيفية فعل النبي ﷺ.

٩ ـ عن رسول الله ﷺ: «لن تكون أو تقوم الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات... وعدّ منها: يأجوج ومأجوج»[3].

١٠ ـ عن رسول الله ﷺ: «سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم، وأترستهم سبع سنين»[4].

١١ ـ ورد: أن الخضر والإلياس يجتمعان في كل ليلة على ذلك السد يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج»[5].

---

(١) م. س.
(٢) راجع في ظلال القرآن، م. س.
(٣) م. س.
(٤) م. س.
(٥) راجع قصص الأنبياء.

ملحوظة مهمة

ورد عن قتادة: «أن ذي القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة دون السد منهم الترك»[1].

وإذا صح عن قتادة ما ذكره فهذا يعني أن قبائل الترك القديمة والتي تحدرت منها قبائل المغول والتتار هي خارج السد، وما فعله المغول والتتار من فساد وإفساد في البلاد والعباد هو نموذج من نماذج إفساد يأجوج ومأجوج، وبالتالي فإن التشاكل بينهم وبين يأجوج ومأجوج يعطينا فكرة واضحة عن طبيعة وصفة يأجوج ومأجوج.

أما تلك المواصفات الغريبة التي اتصف بها أفراد يأجوج تبعاً لما حدثتنا عنه الأخبار والروايات فهي مبنية على المجاز أو على تصوير الواقع الإفسادي الفعلي ليأجوج ومأجوج من جهة تأثيرهم السلبي على واقع الوجود، فشربهم للأنهار تعبير عن عدم إدارتهم الصالحة للموارد المائية، أو هو تعبير عن عدم السماح للناس بالاستفادة منها جراء إنهاكهم بالحروب والقتل والتدمير، وقتلهم للوحوش والسباع وأكلهم لها دلالة على أنهم يعيشون حياة بدائية وهمجية مبنية على كون طعامهم ورزقهم قائم على الصيد والقنص، وغير ذلك مما قيل في مواصفاتهم؛ فإنه مبني على التعبير عنها

---

(١) حق اليقين، ج٢، ص١٤٢.

بالخصوصيات الزمانية والمكانية والتي لا تخرج عن إطار المعقول.

ومما يدل على صحة ما قلناه أن الزمر الفاسدة في هذا العالم سيما أمريكا وإسرائيل هم يقومون بتنشيف الأنهار عبر السرقة، وبتنشيف آبار النفط عبر سحبها إلى أماكن أخرى، وهم يقتلون ليس الوحوش والسباع فقط بإمكانياتهم المادية، بل هم يقتلون ويأكلون الجبال وخيرات الأراضي والبقاع، وهم أيضاً لا يقتلون الناس مرة واحدة بل يقتلونهم مئات المرات عبر قهرهم وإذلالهم وإفقارهم، وإذا كنا لا ننفي على القنبلة الذرية قدرتها على الفتك ببلاد واسعة دفعة واحدة وبسرعة فائقة، ويشمل هذا الفتك الناس، والنبات، والحيوان والجماد؛ فكيف ننفي عن جيش كثيف جداً قدرته على الفتك بالناس والحيوان والنبات والماء بصورة طبيعية؟!!!

فما شهدناه في هذه الأعصار إذن لا يجعلنا نعيش غرابة الروايات المتحدثة عن يأجوج ومأجوج، وكما نعلم فإن الإشارات الزمنية البعيدة تكون قريبة من أذهان متلقيها، وما يدرينا لو كان النبي ﷺ يحدثنا عن يأجوج ومأجوج في هذا الزمان كيف يحدثنا عنهم؟!! وبأي طريقة تعبيرية يكون وصفه ﷺ لهم؟!!.

هل الأخبار الواردة بشأن يأجوج ومأجوج معتبرة؟؟

لقد ذكرنا عدة روايات حول يأجوج ومأجوج وهي تتحدث عن خصوصيات موجودة في يأجوج ومأجوج، فهل هذه الروايات والأخبار معتبرة؟؟

يجيب صاحب كتاب حق اليقين في معرض تعليقه على بعض هذه الروايات قائلاً: وأكثر هذه الخصوصيات لم ترد في الأخبار المعتبرة، فينبغي الإيمان بذلك وخروجهم إجمالاً ولا يتفحص عن الخصوصيات»[1].

وذكر الشهيد السيد محمد صادق الصدر قدس سره أن إحدى الموانع التي تمنعنا من الأخذ ببعض هذه الأخبار صراحة هو «وجود التهافت بين بعض مدلولاتها، الأمر الذي يسقطها عن قابلية الإثبات التاريخي»[2]، وعلّق الشيخ محمد جواد مغنية رضوان الله عليه على ذلك قائلاً: «لأنّا لم نجد مصدراً يُركن إليه، ومن أجل هذا نكتفي بما دل عليه ظاهر القرآن الكريم ونترك التفاصيل إلى غيرنا»[3].

---

(١) حق اليقين، ج٢، ص١٤٣.

(٢) م، س

(٣) التفسير الكاشف، ج١٦، ص١٦٠.

ونحن بدورنا إذا رجعنا إلى أكثر المصادر المتحدثة عن خصوصيات يأجوج ومأجوج نجدها ساقطة عن الإعتبار لعاميتها من جهة، ولإرسال بعضها من جهة أخرى، ولتعارض دلالاتها من جهة ثالثة، ولمخالفتها للمعقولات من جهة رابعة، ولضعف دلالة متونها من جهة خامسة ومن هنا نقل عن صاحب الميزان أنه هناك مليون احتمال حول يأجوج ومأجوج[1]، ونقل عن بعضهم قوله في ظاهرة يأجوج ومأجوج: «وتطاخت التفاسير فيه حتى لم يكد ترسو على أمر مشترك»[2].

ومن هنا نرى بأن أكثر العلماء حينما يمرون في بحوثهم العلمية على ظاهرة يأجوج ومأجوج يدلون بأقوالهم في هذه المسألة على مستويين:

المستوى الأول: يذكرون الآيات الواردة في المقام بتفسير إجمالي أو تفصيلي مع ذكر الإحتمالات من دون أخذ موقف علمي، وكذا يذكرون الروايات من دون تحقيق أو إعمال فكر إلا ما شذ وندر.

المستوى الثاني: يحاولون إسقاط الآيات والروايات على الواقع بطريقة تطبيقية، فيصولون ويجولون بطريقة علمية وفكرية، وفي نهاية المطاف هم يرسون على نتيجة ترجيحية احتمالية، ويصرحون صراحة بأنهم لا يرون هذا الرأي أو ذاك على نحو الجزم واليقين.

---

(١) الطور المهدوي، ص٤٣.

(٢) م. س، راجع أحداث الظهور.

الروايات المتفرقة في ذي القرنين عليه السلام

بما أن لذي القرنين عليه السلام دخالة مهمة في الولوج إلى معرفة ظاهرة يأجوج ومأجوج فلا بد من معرفة الشيء اليسير عنه، وهذا ما سنحصله من هذه الروايات والقصص المتفرقة عنه عليه السلام:

١ ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله عن ذي القرنين عليه السلام: «سخر الله له السحاب فحمله عليها ومد له في الأسباب وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء»[١].

٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إن ذا القرنين بعثه الله إلى قومه فضرب على قرنه الأيمن، فأماته الله خمسمائة عام. ثم بعثه الله إليهم بعد ذلك فضرب على قرنه الأيسر فأماته الله خمسمائة عام، ثم بعثه الله إليه بعد ذلك فملكه مشارق الأرض ومغاربها»[٢].

٣ ـ سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ فقال: لا ملكاً ولا نبياً بل عبداً أحب الله فأحبه الله، ونصح لله فنصح له، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن فغاب عنهم، ثم بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم، ثم بعثه الثالثة فمكن الله له في الأرض،، وفيكم مثله»[٣] أي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) قصص الأنبياء للجزائري.
(٢) م. ن.
(٣) م. ن.

٤ ـ ورد أنه «كان ذو القرنين إذا مرّ بقرية زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب، فينبعث في القرية ظلمات ورعد وبرق وصواعق يهلك من خالفه»[١].

٥ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن ذا القرنين لما انتهى إلى السد جاوزه فدخل في الظلمات، فإذا هو بملك ـ من الملائكة ـ قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع، فقال له الملك: ياذا القرنين أما كان خلفك مسلك؟ فقال له ذو القرنين من أنت؟ قال: أنا ملك من ملائكة الرحمان موكل بهذا الجبل فليس من جبل خلقه الله عزَّ وجل إلا وله عرق إلى هذا الجبل فإذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها»[٢].

٦ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياءَ ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح عليه السلام: ذو القرنين واسمه عياش وداود وسليمان ويوسف، وأما عياش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأما داوود فملك ما بين الشامات إلى بلاد الأصطخر، وكذلك كان ملك سليمان، وأما يوسف فملك مصر وبراريها لم يجاوزها إلى غيرها»[٣].

٧ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داوود وذو القرنين عليهما السلام، والكافران نمرود وبخت نصر، واسم ذي القرنين عبد الله بن ضحاك بن معبد»[٤].

٨ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن ذا القرنين عمل صندوقاً من قوارير ثم حمل في «مسيرة ما شاء الله، ثم ركب البحر، فلما انتهى إلى

---

(١) م. ن.
(٢) م. ن.
(٣) م. ن.
(٤) م. ن.

موضع قال لأصحابه: أدلوني، فإذا حركت الحبل فأخرجوني، فإن لم أحرك الحبل فأرسلوني إلى آخره، فأرسلوه في البحر وأرسلوا الحبل مسيرة أربعين يوماً فإذا ضارب يضرب جنب الصندوق ويقول: يا ذا القرنين إن هذا الموضع الذي أنت فيه مرّ فيه نوح زمان الطوفان، فسقط منه قدوم ـ آلة ـ فهو يهوي في قعر البحر إلى الساعة لم يبلغ قعره، فلما سمع ذلك ذو القرنين حرّك الجبل وخرج»[1].

٩ ـ أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام قال: سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين ما كان قرناه؟ فقال لعلك تحسب قرنه ذهباً أو فضة، أو كان نبياً؟ بل كان عبداً صالحاً بعثه الله إلى أناس فدعاهم إلى الله وإلى الخير، فقام رجل منهم فضرب قرنه الأيسر فمات، ثم بعثه فأحياه وبعثه إلى أُناس فقام رجل فضرب قرنه الأيمن، فمات فسماه ذا القرنين[2].

١٠ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إن ذا القرنين قد خيّر بين السحابين، واختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب، قال: قلت وما الصعب؟ قال: من سحاب فيه رعد وبرق وصاحبكم يركبه. أما أنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع، خمس عوامر واثنتان خراب»[3]، والمراد بصاحبكم المهدي عليه السلام.

١١ ـ عن عبد الله بن سليمان[4] قال: قرأت في بعض كتب الله عزَّ وجل أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل الإسكندرية وأمه عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره يقال له اسكندروس[5]، وكان له أدب وخُلق وعفة من

---

(١) م. ن.

(٢) ميزان الحكمة، ج٩، ص٤١٩، ٤٢٠.

(٣) الطور المهدوي، ص٣٨.

(٤) ورد هذا الحديث في كتاب إكمال الدين عن عبد الله بن سليمان وكان قارئاً للكتب.

(٥) أي الإسكندر تخفيفاً.

وقت ما كان فيه غلاماً إلى أن بلغ رجلاً، وكان رأى في المنام كأنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها وشرقها وغربها، فلما قصّ رؤياه على قومه سموه ذا القرنين[1]، وبسبب هذه الرؤيا بعُدت همته وعلا صوته وعزّ في قومه، وكان أول ما أجمع على أمره أن أسلم لله ودعا قومه إلى الإسلام، فأسلموا هيبة له، ثم أمرهم أن يبنوا له مسجداً فأجابوه إلى ذلك، فأمر أن يجعل طوله أربعمائة ذراع وعرض حائطه اثنين وعشرين ذراعاً وعلوه إلى السماء مائة ذراع، فقالوا له: ياذا القرنين كيف لك بخشب يبلغ ما بين الحائطين. قال: فاكبسوه بالتراب حتى يستوي الكبس مع حيطان المسجد، فإذا فرغتم من ذلك فرضتم على كل رجل من المؤمنين على قدره من الذهب والفضة، ثم قطعتموه مثل قلامة الظفر ـ ما سقط من طرفه ـ وخلطتموه مع ذلك الكبس وعملتم له خشباً من نحاس وصفائح تذيبون ذلك وأنتم متمكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية، فإذا فرغتم من ذلك دعوتم المساكين لنقل ذلك التراب، فيسارعون فيه من أجل ما فيه من الذهب والفضة.

فبنوا المسجد وأخرج المساكين ذلك التراب وقد استقل ـ إرتفع ـ السقف بما فيه واستغنى المساكين، فجندهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم نشرهم في البلاد، وحدث نفسه بالسير فاجتمع إليه قومه فقالوا: ننشدك بالله لا تؤثر علينا بنفسك غيرنا، فنحن أحق برؤيتك وفينا كان مسقط رأسك وهذه أموالنا وأنفسنا فأنت الحاكم فيها وهذه أمك عجوز كبيرة وهي أعظم خلق الله عليك حقاً فلا تخالفها، فقال: إن القول لقولكم وإن الرأي لرأيكم ولكنني بمنزلة المأخوذ بقلبه وسمعه وبصره، ويُقاد ويدفع من خلفه لا يدري أين يؤخذ به، ولكن هلموا معشر قومي فادخلوا هذا المسجد

---

(١) هذا أحد وجوه تسميته بذلك.

وأسلموا على آخركم، ولا تخالفوا عليّ فتهلكوا، ثم دعا دهقان ـ رئيس أو مدبر ـ الإسكندرية فقال له: اعمر مسجدي وعزّ عني أمي، فلما رأى الدهقان جزع أمه وطول بكائها احتال ليعزيها بما أصاب الناس قبلها وبعدها من المصائب والبلاء فيصنع عيداً عظيماً[1]، ثم أذّن مؤذنه: أيها الناس إن الدهقان يدعوكم أن تحضروا يوم كذا وكذا، فلما كان ذلك اليوم أذّن مؤذنه أسرعوا واحذروا أن يحضر هذا العيد إلا رجل قد عُري من البلاء والمصائب فاحتبس الناس كلهم، فقالوا: ليس فينا أحد عُري من البلاء، ما منا أحد إلا وقد أُصيب ببلاء أو بموت حميم، فسمعت أم ذي القرنين فأعجبها، ولم تدر ما أراد الدهقان، ثم إن الدهقان أمر منادياً ينادي فقال: يا أيها الناس إن الدهقان قد أمركم أن تحضروا يوم كذا وكذا ولا يحضر إلا رجل قد ابتلى وأُصيب وفجع ولا يحضره أحد عُري من البلاء فإنه لا خير فيمن لا يصيبه البلاء، فلما فعل ذلك أحدهم قال الناس: هذا رجل قد بُخل، ثم ندم فاستحى فتدارك أمره ومحا عيبه.

فلما اجتمعوا خطبهم ثم قال: إني لم أجمعكم لما دعوتكم له ولكني جمعتكم لأكلمكم في ذي القرنين وفيما فجعنا به من فقده وفراقه، فاذكروا آدم إن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته ثم ابتلاه بأن عظّم بليته وهو الخروج من الجنة، ثم ابتلى إبراهيم بالحريق وابتلى ابنه بالذبح، ويعقوب بالحزن والبكاء، ويوسف بالرق، وأيوب بالسقم، ويحيى بالذبح، وزكريا بالقتل، وعيسى بالأمر، وخلقاً من خلق الله كثيراً لا يحصيهم إلا الله عزَّ وجل فلما فرغ من هذا الكلام قال لهم: انطلقوا فعزوا أم الإسكندر لننظر كيف صبرها فأنها أعظم مصيبة في إبنها، فلما دخلوا عليها قالوا لها: هل حضرت الجمع اليوم وسمعت الكلام؟ قالت لهم: ما غاب

---

(١) أي احتفال كبير.

عليّ من أمركم شيء وما كان فيكم أحد أعظم مصيبة بالاسكندر مني، ولقد صبرني الله وأرضاني وربط على قلبي، فلما رأوا حسن عزائها انصرفوا عنها وانطلق ذو القرنين يسير على وجهه حتى أمعن في البلاد يؤم المغرب وجنوده يومئذٍ المساكين، فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا ذا القرنين إنك حجتي على جميع الخلائق ما بين الخافقين من مطلع الشمس إلى مغربها، وهذا تأويل رؤياك. فقال ذو القرنين: إلهي إنك ندبتني لأمرٍ عظيم لا يقدر قدره غيرك، فأخبرني عن هذه الأمة بأي قوم أكاثرهم وبأي عدد أغلبهم، وبأية حيلة أكيدهم، وبأي لسان أكلمهم وكيف لي بأن أعرف لغاتهم؟ فأوحى الله تعالى إليه: أشرح لك صدرك فتسمع كل شيء، وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب منك شيء، وأشد ظهرك فلا يهولك شيء، وأسخر لك النور والظلمة أجعلهما جندين من جنودك، النور يهديك والظلمة تحوطك وتحوش عليك الأمم من ورائك.

فانطلق ذو القرنين برسالة ربه عزَّ وجلَّ فمر بمغرب الشمس فلا يمر بأمة من الأمم إلا دعاهم إلى الله عزَّ وجل فإن أجابوه قبل منهم وإن لم يجيبوه أغشاهم الظلمة فأظلمت مدنهم وقراهم وحصونهم وبيوتهم، وأغشت أبصارهم ودخلت على أفواههم وأنافهم، فلا يزالون فيها متحيرين حتى يستجيبوا لله عزَّ وجل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾﴾ الآية التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في كتابه، ففعل بهم مع غيرهم حتى فرغ مما بينه وبين المغرب.

ثم مشى على الظلمة ثمانية أيام وثمان ليال وأصحابه ينظرونه حتى انتهى إلى الجبل الذي هو محيط بالأرض كلها، فإذا بملك من الملائكة قابض على الجبل وهو يسبح الله، فخرّ ذو القرنين ساجداً، فلما رفع رأسه

قال له الملك: كيف قويت يا ابن آدم على أن تبلغ هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك؟ قال ذو القرنين: قواني على ذلك الذي قوّاك على قبض هذا الجبل وهو محيط بالأرض كلها. قال له الملك: صدقت، لولا هذا الجبل لانكفأت الأرض بأهلها وليس على وجه الأرض جبل أعظم منه وهو أول جبل أسسه الله عزَّ وجل، فرأسه ملصق بالسماء الدنيا وأسفله بالأرض السابعة السفلى وهو محيط به كالحلقة، وليس على وجه الأرض مدينة إلا ولها عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله عزَّ وجل أن يزلزل مدينة فأوحى الله إلي فحركت العرق الذي يليها فزلزلتها.

ثم رجع ذو القرنين إلى أصحابه، ثم عطف بهم نحو المشرق يستقري ما بينه وبين المشرق من الأمم، فيفعل بهم ما فعل بأمم المغرب، حتى إذا فرق ما بين المشرق والمغرب عطف نحو الروم الذي ذكره الله عزَّ وجل في كتابه، فإذا هو بأمة ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ وإذا ما بينه وبين الروم مشحون من أمة يقال لها يأجوج ومأجوج أشباه البهائم، يأكلون ويشربون ويتوالدون، وهم ذكور وإناث، وفيهم مشابهة من الناس بالوجوه والأجساد والخلقة، ولكنهم قد نقصوا في الأبدان نقصاً شديداً، وهم في طول الغلمان لا يتجاوزون خمسة أشبار، وهم على مقدار واحد في الخلق والصور، عراة حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون، عليهم وبر كوبر الإبل يواريهم ويسترهم من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أُذنان إحداهما ذات شعر والأخرى ذات وبر ظاهرهما وباطنهما، ولهم مخالب في موضع الأظفار، وأضراس وأنياب كالسباع، وإذا نام أحدهم افترش إحدى أُذنيه والتحف بالأخرى فتسعه لحافاً، وهم يرزقون نون البحر كل عام يقذفه عليهم السحاب، فيعيشون به ويستمطرون في أيامه كما يستمطر الناس المطر في أيامه، فإذا قذفوا به أخصبوا وسمنوا وتوالدوا وتكاثروا فأكلوا منه إلى الحول المقبل ولا يأكلون

منه شيئاً غيره، وإذا أخطأهم النون جاعوا وساحوا في البلاد فلا يدعون شيئاً أتوا عليه إلا أفسدوه وأكلوه، وهم أشد فساداً من الجراد والآفات، وإذا أقبلوا من أرض إلى أرض جلا أهلها عنها، وليس يُغلبون ولا يُدفعون حتى لا يجد أحد من خلق الله موضعاً لقدمه، ولا يستطيع أحدٌ منهم أن يدنو منهم لنجاستهم وقذارتهم فبذلك غلبوا، وإذا أقبلوا إلى الأرض يُسمع حسهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم كما يُسمع حس الريح البعيدة، ولهم همهمة إذا وقعوا في البلاد كهمهمة النحل إلا أنه أشد وأعلى، وإذا أقبلوا إلى الأرض حاشوا وحوشها وسباعها حتى لا يبقى فيها شيء، لأنهم يملأون ما بين أقطارها ولا يتخلف وراءهم من ساكن الأرض شيء فيه روح إلا اجتلبوه، وليس فيهم أحد إلا وعرف متى يموت وذلك من قبل أنه لا يموت منهم ذكر حتى يولد له ألف ولد، ولا تموت أنثى حتى تلد ألف ولد، فإذا ولدوا الألف برزوا للموت وتركوا طلب المعيشة ثم أنهم أجفلوا في زمان ذي القرنين يدورون أرضاً أرضاً، وأمة أمة وإذا توجهوا لوجه لم يعدلوا عنه أبداً فلما أحست تلك الأمم بهم وسمعوا همهمتهم استغاثوا بذي القرنين وهو نازل في ناحيتهم، قالوا له: فقد بلغنا ما آتاك الله من الملك والسلطان وما أيّدك به من الجنود ومن النور والظلمة، وإنّا جيران يأجوج ومأجوج وليس بيننا وبينهم سوى هذه الجبال، وليس لهم إلينا طريق إلا من هذين الجبلين، لو مالوا علينا أجلونا من بلادنا، ويأكلون ويفرسون الدواب والوحوش كما يفرسها السباع، ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيّات والعقارب وكل ذي روح، ولا نشك أنهم يملأون الأرض ويجلون أهلها منها، ونحن نخشى كل حين أن يطلع علينا أوايلهم من هذين الجبلين، وقد آتاك الحيلة والقوة ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ

قَالَ انفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾.

ثم أنه دلهم على معدن الحديد والنحاس فضرب لهم في جبلين حتى فتقهما واستخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس، قالوا: فبأي قوة نقطع هذا الحديد والنحاس؟ فاستخرج لهم من تحت الأرض معدناً آخر يقال له السامور ـ الألماس ـ وهو أشد شيء بياضاً وليس شيء منه يوضع على شيء إلا ذاب تحته، فصنع لهم منه أداة يعملون بها، وبه قطع سليمان بن داوود أساطين بيت المقدس، وصخوره جاءت بها الشياطين من تلك المعادن، فجمعوا من ذلك ما اكتفوا به، فأوقدوا على الحديد النار، حتى صنعوا منه زبراً مثل الصخور فجعل حجارته من حديد ثم أذاب النحاس فجعله كالطين لتلك الحجارة، ثم بنى وقاس ما بين الجبلين فوجده ثلاثة أميال، فحفروا له أساساً حتى كاد يبلغ الماء وجعل عرضه ميلاً، وجعل حشوة زبر الحديد وأذاب النحاس فجعله خلال الحديد، فجعل طبقة من نحاس وأخرى من حديد ثم ساوى الردم بطول الصدفين فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس، وحمرته سواد الحديد.

فيأجوج يأتونه في كل سنة مرة وذلك أنهم يسيحون في بلادهم، حتى إذا وقعوا إلى الردم حبسهم، فرجعوا يسيحون في بلادهم، فلا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة، فإذا جاء أشراطها، وهو قيام القائم عجل الله فرجه فتحه الله عز وجل لهم.

فلما فرغ ذو القرنين من عمل السد انطلق على وجهه، فبينا هو يسير إذ وقع على الأمة العالمة الذين منهم قوم موسى ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[1] فأقام عندهم حتى قبض ولم يكن له فيهم عمر، وكان قد بلغ السن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.

فأدركه الكبر، وكان عدة ما سار في البلاد من يوم بعثه الله عزَّ وجل إلى يوم قبض خمسمائة عام»[1].

١٢ ـ عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سُئل عن ذي القرنين؟ قال: «كان عبداً صالحاً واسمه عياش اختاره الله وابتعثه إلى قرن من القرون الأولى في ناحية المغرب[2] وذلك بعد طوفان نوح عليه السلام فضربوه على قرنة الأيمن فمات منها. ثم أحياه الله تعالى بعد مائة عام ثم بعثه إلى قرن من القرون الأولى في ناحية المشرق[3] فضربوه ضربة على قرنه الأيسر فمات منها. ثم أحياه الله تعالى بعد مائة عام وعوضه من الضربتين اللتين على رأسه قرنين في موضع الضربتين اجوفين، وجعل عز ملكه وآية نبوته في قرنه، ثم رفعه الله إلى السماء الدنيا فكشط الأرض كلها حتى أبصر ما بين المشرق والمغرب وآتاه الله من كل شيء علماً وأيده في قرنيه بكسف من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ثم هبط إلى الأرض وأوحى إليه: أن سر في ناحية غرب الأرض وشرقها فقد طويت لك البلاد وذللت لك العباد فأرهبتهم منك فسار ذو القرنين إلى ناحية المغرب، فكان إذا مرَّ بقرية زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب، فبعث من قرنيه ظلمات ورعداً وبرقاً وصواعق تهلك من يخالفه، فدان له أهل المشرق والمغرب، فانتهى مع الشمس إلى العين الحامية فوجدها تغرب فيها ومعها سبعون ألف ملك يجرونها بسلاسل الحديد والكلاليب يجرونها من البحر في قطر الأرض الأيمن كما تجر السفينة على ظهر الماء.

فلما ملك ما بين المشرق والمغرب كان له خليل من الملائكة يقال له:

---

(١) إكمال الدين، ص٣٩٥ ـ ٤٠٦.
(٢) مغرب الأرض.
(٣) مشرق الأرض.

رفائيل ينزل إليه فيحدثه ويناجيه، فقال له ذو القرنين أين عبادة أهل السماء من أهل الأرض؟ فقال ما في السماوات موضع قدم إلاَّ وعليه ملك قائم لا يقعد أبداً أو راكع لا يسجد أبداً أو ساجد لا يرفع رأسه أبداً. فبكى ذو القرنين وقال: أحب أن أعيش حتى أبلغ من عبادة ربي ما هو أهله؟ قال رفائيل: يا ذا القرنين إن لله في الأرض عيناً تدعى عين الحياة، من شرب منها لم يمت حتى يكون هو يسأل الموت، فإن ظفرت بها تعش ما شئت، قال: وأين تلك العين هل تعرفها؟ قال: لا، غير أنا نتحدث في السماء: إن لله في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان. فقال ذو القرنين: وأين تلك الظلمة؟ قال: ما أدري، ثم صعد رفائيل، فدخل ذا القرنين حزن طويل من قول رفائيل ومما أخبره عن العين والظلمة ولم يخبره بعلم ينتفع به منهما، فجمع ذو القرنين فقهاء أهل مملكته وعلماءهم. فلما اجتمعوا عنده قال لهم: هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله أن لله عيناً تدعى عين الحياة من شرب منها لم يمت؟ قالوا: لا، قال: فهل وجدتم أن لله في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان؟ قالو: لا. فحزن ذو القرنين وبكى إذ لم يخبر عن العين والظلمة بما يحب وكان فيمن حضره غلام من الغلمان من أولاد الأنبياء، فقال له: إن علم ما تريد عندي، ففرح ذو القرنين، فقال الغلام: إني وجدت في كتاب آدم الذي كتب يوم سمي ما في الأرض من عين أو شجر فوجدت فيه: إن لله عيناً تدعى عين الحياة بظلمة لم يطأها إنس ولا جان، ففرح ذو القرنين وقال له الغلام: إنها على قرن الشمس ـ يعني مطلعها ـ ففرح ذو القرنين وبعث إلى مملكته فجمع أشرافهم وعلماءهم فاجتمع إليه ألف حكيم وعالم.

فلما اجتمعوا تهيأوا للمسير، فسار يريد مطلع الشمس يخوض البحار ويقطع الجبال، فسار اثنتي عشرة سنة حتى انتهى إلى طرف الظلمة فإذا هي

ليست بظلمة ليل ولا دخان، فنزل بطرفها وعسكر عليها وجمع أهل الفضل من عسكره فقال: إني أريد أن أسلك هذه الظلمة، فقالوا: إنك تطلب أمراً ما طلبه أحد قبلك من الأنبياء والمرسلين ولا من الملوك، قال: أنه لا بدّ لي من طلبها. قالوا إنا نعلم إنك إن سلكتها ظفرت بحاجتك ولكنا نخاف هلاكك. قال: ولا بد من أن أسلكها، ثم قال: أخبروني بأبصر الدواب، قالوا الخيل الإناث البكارة.

فأصاب ستة آلاف فرس في عسكره، فانتخب من أهل العلم ستة آلاف رجل، فدفع إلى كل رجل فرساً، وكان الخضر على مقدمته في الفي فارس فأمرهم أن يدخلوا الظلمة، وسار ذو القرنين في أربعة آلاف وأمر أهل عسكره أن يلزموا معسكره اثنتي عشرة سنة فإن رجع هو إليهم وإلاّ لحقوا ببلادهم، فقال الخضر: أيها الملك إنا نسلك في الظلمة لا يرى بعضنا بعضاً كيف نصنع بالضلال إذا أصابنا؟ فأعطاه ذو القرنين خرزة حمراء[1] كأنها مشعلة لها ضوء، فقال: خذ هذه الخرزة فإذا أصابكم الضلال فارم بها إلى الأرض فإنها تصيح فإذا صاحت رجع أهل الضلال إلى صوتها، فأخذها الخضر ومضى في الليلة وكان الخضر يرتحل وينزل ذو القرنين، فبينما الخضر يسير ذات يوم إذا عرض له واد في الظلمة فقال لأصحابه: قفوا في هذا الموضع ونزل عن فرسه فتناول الخرزة ورمى بها، فأبطأت عنه بالإجابة حتى خاف أن لا تجيبه، ثم أجابته، فخرج إلى صوتها فإذا هي العين وإذا ماؤها أشد بياضاً من اللبن واصفى من الياقوت وأحلى من العسل، فشرب منها، ثم خلع ثيابه فاغتسل فيها ولبس ثيابه، ثم رمى بالخرزة نحو أصحابه فأجابته، فخرج إلى أصحابه وركب وأمرهم بالمسير فساروا، ومرّ ذو القرنين بعده فأخطأ الوادي، فسلك تلك الظلمة أربعين يوماً، ثم خرجوا

---

(١) فص من حجارة؛ أي نوع من أنواع الجواهر.

بضوء ليس بضوء نهار ولا شمس ولا قمر لكنه نور، فخرجوا إلى أرض حمراء رملة، كانت حصاها اللؤلؤ، فإذا هو بقصر مبني على طول فرسخ، فجاء ذو القرنين إلى الباب فعسكر عليه، ثم توجه. . . وحده إلى القصر، فإذا طائر وإذا حديدة طويلة، قد وضع طرفاها على جانب القصر والطير أسود معلق في تلك الحديدة بين السماء والأرض كأنه الخطاف، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين. فقال: يا ذا القرنين لا تخف واخبرني. قال: سل. قال: هل كثر في الأرض بنيان الآجر والجص؟ قال: نعم.

فانتفض الطير وامتلأ حتى ملأ الحديد ثلثيها، فخاف منه ذو القرنين، فقال: لا تخف واخبرني. قال: هل ارتكب الناس شهادة الزور في الأرض؟ قال: نعم. فانتفض إنتفاضة وانتفخ، فسد ما بين جداري القصر، فامتلأ ذو القرنين منه خوفاً فقال: لا تخف وأخبرني. قال: سل. قال: هل ترك الناس شهادة: لا إله إلا الله؟ قال: لا، فانضم ثلثه، ثم قال يا ذا القرنين لا تخف واخبرني. قال: سل. قال: هل ترك الناس الصلاة؟ قال: لا. فانضم ثلث آخر، ثم قال: يا ذا القرنين لا تخف واخبرني هل ترك الناس الغسل من الجنابة؟ قال: لا. فانضم حتى عاد إلى الحالة الأولى فإذا هو بدرجة مدرجة إلى أعلى القصر، فقال الطير: اسلك هذه الدرجة، فسلكها وهو خائف حتى استوى على ظهرها فإذا هو بسطح ممدود مد البصر وإذا رجل شاب أبيض (مضيء) الوجه عليه ثياب بيض وإذا هو رافع رأسه إلى السماء ينظر إليها، واضع يده على فيه، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين. قال: يا ذا القرنين ما كفاك ما وراءك حتى وصلت إلي؟ قال ذو القرنين: ما لي أراك واضعاً يدك على فيك؟ قال: أنا صاحب الصور وإن الساعة قد اقتربت وأنا أنتظر أن أؤمر بالنفخ فأنفخ،

ثم ضرب بيده فتناول حجراً فرمى به إلى ذي القرنين فقال: خذها، فإن جاع جعت وإن شبع شبعت فارجع.

فرجع ذو القرنين بذلك الحجر حتى خرج إلى أصحابه، فأخبرهم بالطير وما سأله عنه وما قاله له وأخبرهم بصاحب السطح، ثم قال: أعطاني هذا الحجر، فأخبروني بأمره، فوضع في إحدى الكفتين ووضع حجراً مثله في الكفة الأخرى، ورفع الميزان فإذا الحجر الذي جاء به أرجح بمثل الآخر، فوضعوا آخر فمال به حتى وضعوا ألف حجر كلها مثله ثم رفع الميزان فمال بها ولم يشتمل به الألف حجر، فقالوا أيها الملك لا علم لنا بهذا الحجر، فقال له الخضر: إني أوتيت علم هذا الحجر، فقال ذو القرنين: أخبرنا به؛ فتناول الخضر الميزان فوضع الحجر الذي جاء به ذو القرنين في كفة الميزان ثم وضع حجراً آخر في كفة أخرى ثم وضع كف تراب على حجر ذي القرنين يزيده ثقلاً ثم رفع الميزان فاعتدل، فقالوا: أيها الملك هذا أمر لم يبلغه علمنا وأنا لنعلم أن الخضر ليس بساحر فكيف هذا وقد وضعنا ألف حجر كلها مثله فمال بها وهذا قد اعتدل به وزاده تراباً؟ قال ذو القرنين: بيّن يا خضر لنا؟ قال الخضر: أيها الملك أن امر الله نافذ في عباده وسلطانه وإن الله ابتلى العالم بالعالم وأنه ابتلاني بك وابتلاك بي. فقال ذو القرنين: يرحمك الله يا خضر إنما تقول: ابتلاني بك حين جعلت اعلم مني وجعلت تحت يدي أخبرني عن أمر هذا الحجر؟ فقال الخضر: إن أمر هذا الحجر مثل ضربه لك صاحب الصور يقول: إن مثل بني آدم مثل هذا الحجر الذي وضع، فوضع معه ألف فمال بها ثم إذا وضع عليه التراب شبع وعاد حجراً مثله. فيقول: كذلك مثلك أعطاك من الملك ما أعطاك فلم ترضى حتى طلبت أمراً لم يطلبه أبداً من كان قبلك ودخلت مدخلاً لم يدخله أنس ولا جان، يقول: كذلك ابن آدم لا يشبع حتى يحثى عليه التراب.

فبكى ذو القرنين وقال: صدقت يا خضر لا جرم اني لا أُطلب أثراً في البلاد بعد مسلكي هذا. ثم انصرف راجعاً في الظلمة فبينما هم يسيرون إذ سمعوا خشخشة ـ أي صوتاً ـ تحت سنابك خيلهم فقالوا: أيها الملك ما هذا؟ فقال: خذوا منه ممن أخذ منه ندم، ومن تركه ندم. فأخذ بعض وترك بعض. فلما خرجوا من الظلمة إذ هم بالزبرجد. فندم الآخذ والتارك. ورجع ذو القرنين إلى دومة الجندل وكان بها منزله. فلم يزل بها حتى قبضه الله إليه. وكان عليه السلام إذا حدث بهذا الحديث قال: رحم الله أخي ذا القرنين ما كان مخطئاً إذ سلك وطلب ما طلب ولو ظفر بوادي الزبرجد في ذهابه لما ترك فيه شيئاً إلا أخرجه للناس، لأنه كان راغباً ولكنه ظفر به بعد ما رجع فقد زهد»[1].

١٣ ـ ورد أن ذا القرنين لما فرغ من عمل السد انطلق على وجهه، فبينما هو يسير وجنوده إذ مرّ على شيخ يصلي فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يرعبك ما حضرك من جنودي؟ قال: كنت أناجي من هو أكثر جنوداً منك وأعز سلطاناً وأشد قوة، ولو صرفت وجهي إليك لم أبلغ حاجتي قبله؛ فقال ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي واستعين بك على بعض أمري؟ قال: نعم إن ضمنت لي أربع خصال: نعيماً لا يزول، وصحة لا سقم فيها، وشباباً لا هرم فيه، وحياة لا موت فيها، فقال له ذو القرنين: وأي مخلوق يقدر على هذه الخصال؟ فقال له الشيخ: فإني مع من يقدر عليها ويملكها وإياك. ثم مرّ برجل عالم فقال لذي القرنين: أخبرني عن شيئين جاريين؟ وعن شيئين متباغضين. فقال له ذو القرنين: أما الشيئان الجاريان فالشمس والقمر، وأما الشيئان المختلفان فالليل والنهار، وأما الشيئان المتباغضان فالموت

---

(١) تفسير العياشي، ج٢، ٣٤١ ـ ٣٤٩.

والحياة. فقال: انطلق فإنك عالم. فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتى مرّ بشيخ يقلّب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرني أيها الشيخ لأي شيء تقلب هذه الجماجم؟ فقال: لأعرف الشريف من الوضيع، والغني من الفقير فما عرفت، وإني لأقلبها منذ عشرين سنة، فانطلق ذو القرنين وتركه فقال: ما عنيت بهذا أحداً غيري.

فبينما هو يسير إذ وقع على الأمة العالمة من قوم موسى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، فلما رآهم قال لهم: أيها القوم أخبروني بخبركم، فإني قد درت الأرض شرقها وغربها، وبرها وبحرها، فلم ألقَ مثلكم فأخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: لئلا يُنسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا. قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا لص ولا ظنين ـ أي متهم ـ وليس فينا إلا أمين. قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم. قال: فما بالكم ليس بينكم حكام؟ ـ يعني قضاة ـ قالوا: لا نختصم. قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكاثر. قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟ قالوا: من قبل إنّا متواسون متراحمون. قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل إلفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا. قال: فما بالكم لا تسبون ولا تقتلون؟ قالوا: من قبل إنّا غلبنا طبايعنا ـ يعني بالعزم ـ وسسنا ـ أي دبّرنا ـ أنفسنا بالحكم. قال: فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: من قبل إنّا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً. قال: فأخبروني لم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل إنّا نقسم بالسوية.

قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: ما قبل الذل والتواضع.

قال: فلمَ جعلكم الله أطول الناس أعماراً؟ قالوا: من قبل إنّا نتعاطى

الحق ونحكم بالعدل. قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: من قبل إنّا لا نغفل عن الإستغفار. قال: فما بالكم لا تحزنون؟ قالوا: من قبل إنّا وطنّا أنفسنا على البلاء فعزينا أنفسنا. قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات؟ قالوا: من قبل إنّا لا نتوكل على غير الله عزَّ وجل ولا نستمطر بالأنواء والنجوم. قال: فحدثوني أيها القوم هكذا وجدتم أباءكم يفعلون؟ قالوا: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم ويواسون فقيرهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويستغفرون لمسيئهم ويصلون أرحامهم ويؤدون أمانتهم ويصدقون ولا يكذبون فأصلح الله لهم بذلك أمرهم، فأقام عندهم ذو القرنين حتى قُبض وله خمسمائة عام»[1].

(١) قصص الأنبياء، ١٧٥، ١٧٦.

ذو القرنين والخضر عليهما السلام

لقد ورد أن الخضر عليه السلام كان معاصراً لذي القرنين عليه السلام، كما أنه عليه السلام كان معاصراً للنبي موسى عليه السلام، وهو العالم الذي ذهب النبي موسى عليه السلام ليتعلم منه بأمرٍ من الله عزَّ وجل، والخضر عليه السلام كان عالماً بالعلم الباطني وهو حي يرزق إلى الآن كما يظهر من الأخبار، ومن هنا فلا غرابة في أن يكون الخضر عليه السلام معاصراً للنبي موسى عليه السلام، وبنفس الوقت هو معاصر لذي القرنين عليه السلام، وذُكر أن السر في بقاء الخضر عليه السلام حياً من عهد معاصرته لذي القرنين عليه السلام إلى عهد النبي موسى عليه السلام، هو أنه عليه السلام قد شرب من نبع الحياة التي كان يبحث عنها معاصره عليه السلام، وستأتي الرواية المخبرة عن ذلك.

واقتران ذكر الخضر عليه السلام والذكر العطر لذي القرنين عليه السلام مشهور ومتكثر، وفي الحديث عن الإمامين الصادقين عليهما السلام: «الخضر وذو القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيين»[1].

واقتران ذكر الخضر عليه السلام مع ذي القرنين عليه السلام ليس فقط بشخصهما، بل حتى مع سد يأجوج ومأجوج، وفي الخبر: «إن الخضر والإلياس[2] يجتمعان في كل ليلة على ذلك السد، يحجبان يأجوج ومأجوج عن

---

(١) قصص الأنبياء، ٣٣٨.

(٢) راجع قصص القرآن، وكتب التفاسير للوقوف على شخصية الإلياس عليه السلام.

الخروج»[1]، وفي خبر آخر ورد أن الخضر والإلياس يجتمعان في كل موسم ويفترقان عن هذا الدعاء وهو: بسم الله ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كل نعمة فمن الله، ما شاء الله الخير كله بيد الله عزَّ وجلَّ، لا يصرف السوء إلا الله[2].

ومهما يكن من شيء فإن من القصص التي جمعت الخضر عليه السلام مع ذي القرنين عليه السلام أنه ورد بأنه قيل لذي القرنين: «إن لله في أرضه عين يقال لها عين الحياة لا يشرب منها ذو روح إلا لم يمت حتى الصيحة، فدعا ذو القرنين الخضر وكان أفضل أصحابه عنده، ودعا ثلاثمائة وستين رجلاً ودفع إلى كل واحد منهم سمكة وقال لهم: اذهبوا إلى موضع كذا وكذا فإن هناك ثلاثمائة وستين عيناً، فيغسل كل واحد سمكته في عين غير عين صاحبه، فذهبوا يغسلون وقعد الخضر يغسل، فانسابت منه السمكة في العين، وبقي الخضر متعجباً مما رأى وقال في نفسه: ما أقول لذي القرنين؟ ثم نزع ثيابه يطلب السمكة فشرب من مائها واغتمس فيه ولم يقدر على السمكة، فرجعوا إلى ذي القرنين، فأمر ذو القرنين بقبض السمك من أصحابه. فلما انتهوا إلى الخضر لم يجدوا معه، فدعاه وقال له: ما حال السمكة؟ فأخبرة الخبر فقال له: ماذا صنعت؟ قال: اغتمست فيها فجعلت أغوص وأطلبها فلم أجدها، قال: فشربت من مائها؟ قال: نعم. قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها، فقال للخضر: كنت أنت صاحبها»[3].

---

(١) قصص الأنبياء، ١٩٣.

(٢) مهج الدعوات، ص٤٦٣.

(٣) قصص الأنبياء، ١٧٧.

ذو القرنين وإبراهيم عليه السلام

ورد أن النبي إبراهيم عليه السلام صافح الإلهي المعروف بذي القرنين، وأما كيفية لقاء النبي إبراهيم عليه السلام مع ذي القرنين مع وجود التباعد الزمني الكبير بينهما، فالجواب هو بقدرة ذي القرنين على قطع مسافات الدهر من خلال ما أوتي من فضل الله عز وجل.

وقد ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال: أول اثنين تصافحا على وجه الأرض ذو القرنين وإبراهيم الخليل عليهما السلام، استقبله إبراهيم فصافحه، وأول شجرة نبتت على وجه الأرض النخلة»[1].

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: حج ذو القرنين في ستمائة ألف فارس، فلما دخل الحرم شيعة بعض أصحابه إلى البيت، فلما انصرف قال: رأيت رجلاً ما رأيت أكثر نوراً منه قالوا: ذاك خليل الرحمٰن صلوات الله عليه، قال: أسرجوا فأسرجوا ستمائة ألف دابة في مقدار ما يسرج دابة واحدة، ثم قال: لا. بل نمشي إلى خليل الرحمن.

فمشى ومشى معه أصحابه حتى التقيا. قال إبراهيم عليه السلام: بما قطعت الدهر؟ قال: بإحدى عشرة كلمة:

---

(١) م، ن.

سبحان من هو باق لا يفنى.

سبحان من هو عالم لا ينسى.

سبحان من هو حافظ لا يسقط.

سبحان من هو بصير لا يرتاب.

سبحان من هو قيوم لا ينام.

سبحان من هو ملك لا يرام. (لا يُقصد بسوء).

سبحان من هو عزيز لا يضام (لا يظلم).

سبحان من هو محتجب لا يُرى.

سبحان من هو واسع لا يتكلف.

سبحان من هو قائم لا يلهو.

سبحان من هو دائم لا يسهو[1].

---

(١) قصص الأنبياء، ص١٨٤.

الدروس المستفادة من الآيات الواردة في ذي القرنين ويأجوج ومأجوج

ثمة استفادات نستفيدها كدروس عملية من قصة يأجوج ومأجوج، ومن الآيات الواردة فيهما وفي ذي القرنين عليه السلام، ومن هذه الدروس:

الدرس الأول: ضرورة الإستفسار وجمع الأخبار عن الماضين للإعتبار، ولتراكم التجارب الإنسانية، وللاحتذاء بالصلحاء منهم والنفور من الفسّاد، وهذا ما نستفيده من قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾[1].

والسؤال المطروح هنا وإن كان من فئة خبيثة هي اليهود والعرب المشركين، إلا أن الفائدة واضحة في هذا المجال، إذ لولا سؤالهم لما استفدنا من قصة ذي القرنين شيئاً، كما أن المورد لا يخصص الوارد كما لا يخفى.

الدرس الثاني: إن طاعة الله عزَّ وجل والكون من صلحاء عباده يوجب إغداق الرحمة الإلهية على المطيع والصالح، ومن هنا فإن صفات الصلاح والتقوى والتواضع التي كانت لذي القرنين عليه السلام؛ منحته إغداقاً وعطاءً ربانياً حيث مكّنه الله عزَّ وجل في الأرض وأعطاه من كل شيء سبباً، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾[2].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

الدرس الثالث: إن الإمتثال لأمر الله عزَّ وجل بشكل مطلق هو من سمات المستظل بظل العبودية المطلقة لله عزَّ وجل، ومن هنا فإن العبد المطلق لله عزَّ وجل هو الذي يسير وفق إرادة الله جل شأنه وتعالت قدرته مهما اشتمل هذا المسير على أنواع البلاءات، وشتى صنوف المشاق، وما سيره هذا إلا لأجل التسليم المطلق لإرادة الله عزَّ وجل وهذا مطابقٌ تمام الانطباق لقول العبد لسيده حيث قال: «ما شأن العبد فيما يريد وفيما لا يريد».

فإن اتحاد إرادة الإنسان مع الإرادة الربانية هو تمحض العبودية كما لا يخفى، وهذا ما نتلمسه من الطاعة المطلقة لله عزَّ وجل من قبل العبد الصالح المعروف بذي القرنين عليه السلام، حيث شدّ الرحال متوجهاً إلى موضع مغرب الشمس، وموضع مشرقها، ونحو المضيق الجبلي حيث بنى هناك سده المعروف، وهذه الرحلات الثلاث إنما كانت امتثالاً لأمر الله عزَّ وجل وبتسديد منه جل وعزَّ، وهذا ما دلت عليه الآيات القرآنية في غير آية من سورة الكهف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[1]. حيث سلك طريقه عليه السلام بأمرٍ من الله عزَّ وجل.

الدرس الرابع: إن العمل على هداية الناس وإرشادهم، وإنقاذهم من الضلالة والزيغ لهو من أشرف الأعمال كما لا يخفى على المتتبع للآيات والأخبار، ومن هنا قام الإلهي العظيم المعروف بذي القرنين عليه السلام بهذه المهمة الشاقة، فلما وصل إلى موطن مغرب الشمس ووجد قوماً ضالين هداهم إلى الحق اليقين، وأعمل فيهم حكم الله عزَّ وجل، فقد قال تعالى حكاية عنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾[2].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

الدرس الخامس: عدم الحكم على الناس من خلال هواه، وسلطنته التي مُنحت له، بل لا بد من الحكم على الناس بحكم الله عزَّ وجل ومن هنا حكم ذو القرنين عليه السلام بقوم أهل موضع المغرب بحكم الله عزَّ وجل، فقد قال الله عزَّ وجل حكاية عنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨﴾[1].

الدرس السادس: عدم الملالة من آداء التكليف الإلهي، فإن لذي القرنين عليه السلام عزيمة قوية كما ظهر عنه في الآيات الواردة بشأنه، فها هو ينتقل من منطقة إلى منطقة رغم بُعد المسير وثقل المهمة، ومن ثم يقوم بدوره الإلهي كاملاً، وهذا يفسر لنا تكرار قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبٗا﴾ و﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾.

الدرس السابع: زيارة الفقراء والمساكين والمستضعفين من قبل أهل المُلك والسلطنة، وأهل القوة والثراء لهو من أعظم القربات، ويحكي عن سمة التواضع والشفقة، ومن هنا فقد تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾[2].

الدرس الثامن: أن كل ما يفعله الإنسان، وكل ما يضمره ويظهره، وكل حركة أو ساكن منه وفيه، كل ذلك هو في دائرة مراقبة الله عزَّ وجل وعلمه، حيث قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١﴾[3].

الدرس التاسع: على الإنسان الشفيق وصاحب الحس الإنساني التوجه باتجاه الأمم الضعيفة، والمظلومة، والمنكوبة، والجاهلة، ليقوي، وينصر،

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٦ ـ ٨٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٠.
(٣) الكهف، الآية: ٩١.

ويساعد، ويعلم وهذا ما حصل فعلاً حينما توجه ذو القرنين عليه السلام باتجاه أقوام المضيق الجبلي فساعدهم وأعانهم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾[1].

الدرس العاشر: على الإنسان أن يتعاون مع الإنسان الآخر لحل المشاكل التي يغرق فيها، ومن هنا فعلى الإنسان المنكوب أن يذهب إلى من لديه الكفاءة، من أجل إنتشاله من نكبته، وهذا مأذون به من قبل الله عزَّ وجل فإن الإنسان يحتاج إلى خيار الناس في تأمين حاجياته من جهة، وفي مواجهة الطوارىء الطارئة عليه من جهة أخرى، نعم الوجه المطلق لله عزَّ وجل هو الأصل وما يأذن فيه الله عزَّ وجل فهو الجائز، ومن هنا توجه أقوام المضيق الجبلي الذين يتعرضون للأذى من قبل يأجوج ومأجوج إلى ذي القرنين طلباً للمساعدة، قال تعالى حكاية عن أقوام المضيق الجبلي: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2].

الدرس الحادي عشر: لا بد لأي إنسان يقع في مشكلة ما، أن يشخص المشكلة بشكل صحيح وسليم، وأن يشخص الحل أيضاً بشكل صحيح وسليم، ومن هنا فإن أقوام المضيق الجبلي شخصوا المشكلة المتمثلة بيأجوج ومأجوج، وشخصوا الحل المتمثل ببناء السد، ومن هنا قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾[3].

وللأسف فإن بعض الناس يقعون في مشكلة فلا يشخصونها بشكل صحيح، فنراهم يرون أن المشكلة في مكان آخر، تماماً كما يحصل في

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٣.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٤.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٤.

أعصارنا هذه حيث أن كل مشاكل المسلمين إنما تكمن في أمريكا وإسرائيل حصراً، ولكننا نراهم يحددون مشاكلهم بصورة خاطئة فيرونها كامنة في فئة منهم، وها هم يقتلون أتباع أهل البيت عليهم السلام في العراق وكأن حل قضية فلسطين، وحل مشكلة العالمين العربي والإسلامي لا يتحقق إلا بطمس ذكر محمد وآل محمد، ولا يتحقق إلا بقتل أتباعهم عليهم الصلاة والسلام، فإلى الله المشتكى وعليه المعول في الشدة والرخاء.

الدرس الثاني عشر: على الذي يطلب من الآخر مساعدته في أمر ما أن يكون لائقاً في طلبه هذا، فيعرض عليه ما يقابل عمله هذا من أجر، وهذا ما فعله أقوام المضيق الجبلي مع ذي القرنين عليه السلام حيث عرضوا عليه أن يخرجوا له من أموالهم ما يقابل بناء السد وبالطبع فإنه رفض عليه السلام هذا العرض، وتقديم المقابل من قبلهم له عليه السلام يحكي عن لياقتهم من جهة، وعن طبيعة العلاقات البشرية آنذاك والقائمة على عدم مجانية الخدمة، قال تعالى: حكاية عنهم: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾[1].

الدرس الثالث عشر:على الإنسان الذي أُوتي الخير الكثير من الله عزَّ وجل أن يكون عفيفاً زاهداً، وأن لا يطمع بما في أيدي الناس طالما أن الله عزَّ وجل أغناه عنهم، كما أن على الإنسان أن يخدم الناس بطريقة مجانية إذا ما أغناه الله تعالى عن الحاجة إليهم، ومن هنا تعفف العبد الصالح عليه السلام ورفض عرضهم المالي بإحسان قائلاً: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[2].

الدرس الرابع عشر: على الإنسان القوي، والعالم، والجدير بالثقة أن يعطي غيره فرصة في المساهمة الفعلية على سبيل إعطاء الثقة بالنفس، وهذا

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٥.

ما فعله ذو القرنين عليه السلام حيث لم يرض لأقوام المضيق الجبلي أن يبقوا خارج نطاق المواجهة التي تعنيهم حتى لو كان قادراً لوحده على إنجاز هذا العمل، وإنما فعل ذلك عليه السلام لأجل إعزاز الثقة في نفوس أقوام المضيق الجبلي، ومن هنا قال تعالى حكاية عنه: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[1] و﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾[2] و﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾[3]، و﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[4] وغيرها من الألفاظ الدالة على المشاركة.

الدرس الخامس عشر: على الإنسان أن يستفيد من كامل قدراته وطاقاته، ومن كافة الأمكانات المتوافرة، ومن هنا فقد استفاد ذو القرنين عليه السلام من الطاقات البشرية لأقوام المضيق الجبلي، واستفاد أيضاً من الموارد الطبيعية الموجودة عندهم، فأمرهم باستخراج الحديد، والنحاس، والألماس وغير ذلك مما هو كامن في أرضهم الغنية بالموارد الطبيعية، وبالمواد الأولية، قال تعالى: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[6].

الدرس السادس عشر: على الإنسان إذا واجه مشكلةً ما أن لا يقف مكتوف الأيدي، بل لا بد من المواجهة وذلك بالإستفادة من طاقاته وإمكاناته. قال تعالى: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[7].

الدرس السابع عشر: إن الطاقات والإمكانات مهما كانت كبيرة وكثيرة فإنها لن تغني عن الإنسان شيئاً إذا لم تتوج بالتفكير البشري القادر على

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٥.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٦.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٦.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٦.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٩٦.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٩٦.
(٧) سورة الكهف، الآية: ٩٥.

استخدامها بشكل صحيح، ومن هنا نجد كيف أن ذا القرنين عليه السلام استفاد من وجود الموارد الطبيعية من أجل صنع سده الشهير، وما كانت استفادته إلا نابعة من عقله الذي استطاع الإختراع والتصنيع.

الدرس الثامن عشر: على الإنسان إذا أراد أن يعمل عملاً أن يتقنه بشكل صحيح وسليم، وهكذا فإن ذا القرنين عليه السلام بنى سداً متيناً حقق أغراضه ومقاصده، بل فاق تصور أقوام المضيق الجبلي، ومن هنا نجح السد حيث منع يأجوج ومأجوج من تجاوزه ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[1].

الدرس التاسع عشر: إن على المؤمن الواعي والرسالي أن لا يعتبر أفعاله وإنجازاته مستقلة عن الإعانة الإلهية، والمدد الإلهي، بلا لا بد له من أن يعترف بأن كل ما ينجزه الإنسان إنما مرده إلى الله عزَّ وجل، ولهذا قال الله تعالى حكاية عن ذي القرنين لما انتهى من بناء السد بنجاح: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾[2].

الدرس العشرون: أن كل شيء ما خلا الله عزَّ وجلَّ محكوم بالزوال والإضمحلال ومن هنا قال الله عزَّ وجل حكاية عن ذي القرنين عليه السلام: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[3].

وهذه الدروس التي استفدناها من هذه الآيات المباركة هي لا تستثني أحداث خطابها كل بحسبه، ولا يخفى علينا أن السير وفق الأسباب والمسببات على ضوء هذه الآيات حاضرٌ بقوة حيث نستفيد منها ضرورة السير وفق هذه القاعدة.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٧.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٨.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٨.

ملحق تفسيري

١ ـ التفسير الكاشف

ج١٦، ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ رجع ذو القرنين إلى بلاد ثالثة تقع شرقي البحر الأسود يسكنها الصقالبة ـ كما قيل ـ وإليها أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾. المراد بالسدين هنا جبلين، وكان القوم الذين وجدهم ذو القرنين هنا لا يفهمون لغته، ولا لغة من معه، ولا هو ومن معه يفهمون لغة القوم، ولكنه فهم مطالبهم بالإشارة، أو بواسطة مترجم بدليل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾. قال الشيخ المراغي في تفسيره: «يأجوج هم التتر، ومأجوج المغول، وأصلهما من أب واحد يسمى (ترك) وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى البحر المتجمد، ومنهم جنكيز خان وهلاكو». ثم نقل المراغي عن مجلة المقتطف لسنة ١٨٨٨ أن سد ذي القرنين يقع وراء جيحون في عمالة بلخ، واسمه الآن باب الحديد، وهو بمقربة من مدينة ترمذ، وأن العالم الألماني «سيلد برجر» ذكره في رحلته التي كانت في أوائل القرن الخامس عشر، وأيضاً ذكره المؤرخ الأسباني «كلافيجو» في رحلته سنة ١٤٠٣.

وبناء هذا السد أصدق مثال على أنه قد كان في تاريخ الإنسانية تعاون وتعاطف بين الدول الغنية الكبرى، والدول الضعيفة النامية»، بين الشعب

الذي يملك أسباب التطور، والشعب الذي لا يملكها.

وقوة الولايات المتحدة تشبه إلى حد بعيد قوة ذي القرنين من حيث أن كلاً منها لا تضارعها قوة في عصرها، ولكن الفرق بعيد جداً من حيث النتائج، فإن ذا القرنين كان بكل ما يملك من قوة ملكاً لخير البشرية وإسعادها، أما قوة الولايات المتحدة فهي لحماية الشر والصهيونية، وللسيطرة على المقدرات والأسواق والأفكار لمصلحة الإستعمار والرجعية بشتى صورها وأشكالها... ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ ضمير جعله للسد، ودكاء أي مستوياً مع الأرض، والمعنى أنه متى دنا الوقت الذي يخرج منه يأجوج ومأجوج من وراء السد هيأ الله أسباب هدمه وزواله ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ لا ريب فيه، قال الشيخ المراغي: «وقد جاء وعده تعالى بخروج جنكيز خان وسلائله فعاثوا في الأرض فساداً». وفي تفسير الرازي أن وعد الله هنا يوم القيامة، وفي تفسير الطبرسي أن هذا الوعد يأتي بعد قتل الدجال، أما نحن فنميل إلى قول المراغي لأنه أقرب إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ فإنا نفهم منه أن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض بعد خراب السد، ويفسدون على الناس حياتهم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1]. هذا، إلى أنه لو كان المراد بمجيء وعده تعالى يوم القيامة أو بعد الدجال لكان السد موجوداً الآن كما هو.. ومن الواضح أنه لو كان لبان، بخاصة وقد جعل العلم الكرة الأرضية، وسكانها أشبه بالأسرة الواحدة يضمهما بيت واحد... وبعد، فإن الذي قلناه عن يأجوج ومأجوج، أو نقلناه عن الغير إنما هو على التقريب، لا على التحقيق، لأنّا لم نجد مصدراً يُركن إليه، من أجل هذا نكتفي بما دلّ عليه ظاهر القرآن الكريم، ونترك التفاصيل إلى غيرنا.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

٢ ـ في ظلال القرآن
ج١٦، ٢٢٨٩ وما بعدها

إن النص لا يذكر شيئاً عن شخصية ذي القرنين ولا عن زمانه أو مكانه، وهذه هي السمة المطردة في قصص القرآن، فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود وإنما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة. . .

والتاريخ المعروف يعرف ملكاً اسمه الإسكندر ذو القرنين، ومن المقطوع به أنه ليس ذا القرنين المذكور في القرآن، فالإسكندر الإغريقي كان وثنياً، وهذا الذي يتحدث عنه القرآن مؤمن بالله موحد معتقد بالبعث والآخرة ويقول أبو الريحان البيروني المنجم في كتاب: «الآثار الباقية عن القرون الخالية» أن ذا القرنين المذكور في القرآن كان من حمير مستدلاً باسمه فملوك حمير كانوا يلقبون بذي كذي نواس وذي يزن. وكان اسمه أبو بكر بن أفريقش. وأنه رحل بجيوشه إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، فمرّ بتونس ومراكش وغيرهما، ثم عاد وبنى مدينة افريقية فسميت القارة كلها باسمه وسمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس.

وقد يكون هذا القول صحيحاً. ولكننا لا نملك وسائل تمحيصه. . .

وبعد فمن يأجوج ومأجوج؟ وأين هم الآن؟ وماذا كان من أمرهم وماذا سيكون؟

كل هذه أسئلة يصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق، فنحن لا نعرف عنهم إلا ما ورد في القرآن وفي بعض الأثر الصحيح.

والقرآن يذكر في هذا الموضع ما حكاه من قول ذي القرنين ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾. وهذا النص لا يحدد زماناً، ووعد الله بمعنى وعده بذلك السد ربما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار، وانساحوا في الأرض، ودمروا المماليك تدميراً.

وفي موضع آخر في سورة الأنبياء: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ... ﴿٩٧﴾﴾.

وهذا النص كذلك لا يحدد زماناً معيناً لخروج يأجوج ومأجوج فاقتراب الوعد الحق بمعنى اقتراب الساعة وقد وقع منذ زمن الرسول ﷺ فجاء في القرآن: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر. فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين أو القرون، يراها البشر طويلة مديدة، وهي عند الله ومضة قصيرة.

وإذن فمن الجائز أن يكون السد قد فُتح في الفترة ما بين ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ ويومنا هذا، وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي انسياح يأجوج ومأجوج.

وهناك حديث صحيح رواه الإمام أحمد عن سفيان الثوري عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها حبيبة عن زينب بنت جحش ـ زوج النبي ﷺ ـ قالت: استيقظ الرسول ﷺ من نومه وهو محمر الوجه وهو يقول: ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح

اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وحلق (بإصبعه السبابة والإبهام).
قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبيث.

وقد كانت هذه الرؤيا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن. وقد وقعت غارات التتار بعدها ودمرت ملك العرب بتدمير الخلافة العباسية على يد هولاكو في خلافة المستعصم آخر ملوك العباسيين وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول ﷺ وعلم ذلك عند الله. وكل ما نقوله ترجيح لا يقين.

الأمثل في كتاب الله المنزل
مجلد ٩، ٣١٦...

بعد ذكره للآيات القرآنية الواردة بشأن يأجوج ومأجوج وسد ذي القرنين قال صاحب الأمثل:

كيف تم بناء سد ذي القرنين؟

الآيات أعلاه تشير إلى سفرة أخرى من أسفار ذي القرنين حيث تقول ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾.

أي بعد هذه الحادثة استفاد من الوسائل المهمة التي كانت تحت تصرفه.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ الآية إشارة إلى أنه وصل إلى منطقة جبلية، وهناك وجد أُناساً (غير المجموعتين اللتين عثر عليهما في الشرق والغرب) كانوا على مستوى دانٍ من المدينة، حيث يعتبر الكلام أحد أوضح علائم التمدن.

البعض احتمل أن جملة «﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لا تعني أنهم لم يكونوا يعرفون اللغات، بل كانوا لا يفهمون محتوى الكلام، أي كانوا متخلفين فكرياً...

قد يكون كلامهم هذا قد تم عن طريق تبادل العلامات والإشارات لأنهم لا يفهمون لغة ذي القرنين، أو أنهم تحدثوا معه بعبارات ناقصة لا يمكن الإعتداد بها، وقد احتملوا أن يكون التفاهم بينهم قد تم عن طريق المترجمين أو بأسلوب الإلهام الإلهي مثل تحدث بعض الطيور مع سليمان عليه السلام. وفي كل الأحوال يمكن أن نستفيد من الآية الشريفة أن تلك المجموعة من الناس كانت ذا وضع جيد من حيث الإمكانات إلا أنهم كانوا ضعفاء في المجال الصناعي والفكري والتخطيطي...

كلمة «ردم» على وزن «طرد» وهي في الأصل تعني ملء الشق بالأحجار، إلا أنها فيما بعد أخذت معنى واسعاً بحيث شمل كل سد، بل وشمل حتى ترقيع الملابس.

يعتقد بعض المفسرين أن كلمة «ردم» تقال للسد القوي، ووفقاً لهذا التفسير فإن ذا القرنين قد وعدهم بأكثر مما كانوا ينتظرونه....

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

لقد أشار ذو القرنين في كلامه هذا إلى قضية فناء الدنيا وتحطم هيكل نظام الوجود فيها عند البعث.

لكن بعض المفسرين اعتبر الوعد الإلهي إشارة إلى التقدم العلمي للبشر والذي بواسطته لا يبقى معنى لسد غير قابل للإختراق والعبور، فالطائرات وما شابهها تستطيع أن تعبر جميع هذه الموانع»...

«وجد من دونهما «وراءهما»، «قوماً لا يكادون يفقهون قولاً» لم يفهموا قوله ولا عرف لغتهم لغرابتها ولقلة فهمهم في التعبير والإشارة، والظاهر أنهم الصينيون وما وراءهم في منقطع بلاد الترك في أقصى الشرق، وقد ألهمه الله تعالى كيفية التفاهم معهم كما علم سليمان عليه السلام منطق الطير.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ... ﴿٩٤﴾﴾ أي أنهم كلموه رأساً أو بواسطة ترجمان ولكن الأول أصح بمقتضى عموم قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ومنه تعليم اللغات على اختلافها وكثرتها...

﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام...

﴿...فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ فإذا اقترب مجيء الساعة وقيام القيامة، وهو وعد ربي جلَّ وعزَّ بالبعث والنشور، أو هو خروج يأجوج ومأجوج قبيل ذلك...

من وحي القرآن
(ج١٤ - ٣٩٠...)

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ في اتجاه آخر، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ وقد يكون المراد بهما الجبلين لأن السد يطلق على الجبل وعلى كل حاجز يسد طريق العبور ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ في ما يوحي به ذلك من بساطتهم وسذاجة فهمهم، بحيث لا يعيشون العمق الفكري في مواجهتهم للمشاكل، فيحتاجون إلى الشخص الذي يدبر لهم أمورهم، ويقودهم إلى الحلول الممكنة التي كانوا يستطيعون الوصول إليها بأنفسهم لو كانوا يملكون الوعي الكامل المنطلق من حالة المعاناة الفكرية، وهذا ما واجهوه مع أولئك الذين كانوا يعيشون في الجانب الآخر من المنطقة، وراء الجبلين، فقد كان بإمكانهم أن يبحثوا عن الوسيلة التي يستطيعون أن يتخلصوا بها من ضغطهم على واقعهم في ما يتحركون به من إفساد البلاد والعباد، إما بالمواجهة، أو بالمعاهدة، أو بغير ذلك من الأمور، ولكنهم لم يجدوا هناك إلا إقامة السد بينهم، ليكون ذلك حاجزاً طبيعياً بمنعهم من القدوم إليهم، أو الهجوم عليهم، وهكذا طرحوا المسألة على ذي القرنين بسذاجة وطيبة وبساطة ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فهم يغيرون علينا ويعملون فينا سلباً ونهباً، وقتلاً وتدميراً... وهكذا تم لذي القرنين ما أراده من إغلاق المنافذ التي

كان ينفذ منها هذا الجيش البشري ـ يأجوج ومأجوج ـ ليفسدوا البلاد ويهلكوا العباد... ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ وقامت القيامة، وزالت الجبال وتحولت إلى هباء... ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ فلا يبقى منه شيء، بل يتحول إلى تراب يطير مع الريح، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ لا ريب فيه. فهو أصدق من وعد، فلا مبدل لكلماته وهو اللطيف الخبير، وربما كان المراد من الوعد الحق، الزمن المحدد الذي يختص بهذا السد عند اقتراب الساعة، كما قد توحي به الآية الكريمة في قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾[1]...

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦ ـ ٩٧

مجمع البيان
(مجلد ٦، ج١٦، ٣٧٩ وما بعدها)

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أي: عن خبره وقصته، لا عن شخصه. واختلف فيه، فقيل: إنه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض، عن مجاهد، وعبد الله بن عمر. وقيل: أنه كان ملكاً عادلاً. وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنه كان عبداً صالحاً، أحب الله، وأحبه الله وناصح الله وناصحه، قد أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه ضربة بالسيف، فغاب عنهم ما شاء الله. ثم رجع إليهم فدعاهم إلى الله، فضربوه على قرنه الآخر بالسيف، فذلك قرناه، وفيكم مثله ـ يعني نفسه عليه السلام وفي سبب تسميته بذي القرنين أقوال أُخر منها: إنه سمي به لأنه كانت له ضفيرتان، عن الحسن. ومنها: إنه كان رأسه شبه القرنين تواريه العمامة، عن يعلى بن عبيد.

ومنها: إنه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب، فسمي بذلك لاستيلائه على قرن الشمس من مغربها، وقرنها من مطلعها، عن الزهري واختاره الزجاج.

ومنها: إنه رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها، فقصّ رؤياه على قومه، فسموه ذا القرنين، عن وهب.

ومنها: إنه عاش عيش قرنين، فانقرض في وقته قرنان من الناس، وهو حي.

ومنها: أنه كان كريم الطرفين من أهل بيت الشرف، من قبل أبيه وأمه، قال معاذ بن جبل: كان من أبناء الروم، واسمه الاسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية.

﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ معناه: قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خبراً وقصة ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بسطنا يده في الأرض، وملكناه حتى استولى عليها وقام بمصالحها. وروي عن علي عليه السلام أنه قال: سخر الله له السحاب، فحمله عليها، ومدّ له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء. فهذا معنى تمكينه في الأرض، وهو أنه سهل عليه المسير فيها، وذلّل له طريقها وحزونها، حتى تمكن منها أنّى شاء.

﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي: فأعطيناه من كل شيءٍ علماً يتسبب به إلى إرادته، ويبلغ به إلى حاجته، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وقيل: معناه وآتيناه من كل شيءٍ يستعين به الملوك على فتح البلاد، ومحاربة الأعداء، عن الجبائي، وقيل: معناه وآتيناه من كل شيءٍ سبيلاً، كما قال سبحانه ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ أي: سبلها ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ معناه فأتبع طريقاً واحداً في سلوكه، قال الزجاج: معناه فأتبع سبباً من الأسباب التي أُوتي بها، وذلك أنه أُوتي من كل شيءٍ سبباً، فأتبع من تلك الأسباب التي أُوتي سبباً في المسير إلى المغرب.

ومن قرأ ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ فمعناه: لحق كقوله فأتبعه الشيطان. والأصل فيه ما مرّ ذكره في الحجة[1].

---

(١) يراجع ما قبل هذه الصفحات.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: موضع غروبها إنه انتهى إلى آخر العمارة من جانب المغرب، وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس، ولم يرد بذلك أنه بلغ إلى موضع الغروب، لأنه لا يصل إليه أحد.

﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ﴾ معناه: وجدها كأنها تغرب ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ وإن كانت تغرب في ورائها، عن الجبائي، وأبي مسلم، والبلخي، لأن الشمس لا تزايل الفلك، ولا تدخل عين الماء، ولأنه قال ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗا﴾. ولكن لما بلغ ذو القرنين ذلك الموضع، تراءى له كأن الشمس تغرب في عين، كما أن من كان في البحر رآها كأنها تغرب في الماء، ومن كان في البر يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء. والعين الحمئة: هي ذات الحمأة، وهي الطين الأسود المنتن. والحامية: الحارة. وعن كعب قال: أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين.

وقوله: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗا﴾ معناه: ووجد عند العين ناساً. ﴿قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ في هذا دلالة على أن القوم كانوا كفاراً، والمعنى: إما أن تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك، وإما أن تأسرهم وتمسكهم بعد الأمر، لتعلمهم الهدى، وتستنقذهم من العمى.

وقيل: معناه وإما أن تعفو عنهم. واستدل من ذهب إلى أن ذو القرنين كان نبياً بهذا، قال: لأن أمر الله تعالى لا يُعلم إلا بالوحي، والوحي لا يجوز إلا على الأنبياء. وقال الكلبي: إن الله تعالى ألهمه ولم يوح إليه. وقال ابن الأنباري: إن كان ذو القرنين نبياً، فإن الله تعالى قال له كما يقول للأنبياء، إما بتكليم، أو بوحي، وإن لم يكن نبياً، فإن معنى قلنا: ألهمنا، لأن الإلهام ينوب عن الوحي. قال سبحانه: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ أي: وألهمناها. قال قتادة: فقضى ذو القرنين فيهم بقضاء الله تعالى، وكان عالماً بالسياسة ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: أشرك، عن ابن عباس ﴿فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أي: نقتله إذا لم يرجع عن الشرك ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ بعد قتلي إياه ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا

﴿نُكْرًا﴾ أي: منكراً غير معهود، يعني في النار، وهو أشد من القتل في الدنيا...

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مر معناه ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: سنقول له قولاً جميلاً، وسنأمره با يتيسر عليه، ولا نؤاخذه بما مضى من كفره. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ أي طريقاً آخر من الأرض، ليؤديه إلى مطلع الشمس، ويوصله إلى المشرق، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: بلغ موضع ابتداء العمارة من الجانب الذي تطلع منه الشمس ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ معناه أنه لم يكن بها جبل، ولا شجر، ولا بناء، لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في الماء والأسراب، وإذا غربت، تصرفوا في أمورهم، عن الحسن، وقتادة، وابن جريج.

وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لم يعلموا صنعة البيوت، وقوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معناه: مثل ذلك القبيل. الذي كانوا عند مغرب الشمس، في أن حكمهم حكم أولئك. قيل: إن معناه أنه اتبع سبباً إلى مطلع الشمس، مثل ما أتبع سبباً إلى مغرب الشمس. وتم الكلام عند قوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾. ثم ابتدأ سبحانه فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ أي؛ علمنا ما كان عند ذي القرنين من الجيوش، والعدة وآلات السياسة. وقيل: معناه أحطنا علماً بصلاحه واستقلاله بما ملكناه، قبل أن يفعله، كما علمناه بعد أن فعله، ولم يخف علينا حاله. وفي قوله ﴿بِمَا لَدَيْهِ﴾: إشارة إلى حسن الثناء عليه، والرضا بأفعاله لامتثاله أمر الله تعالى في كل أحواله ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ معناه: ثم أتبع مسلكاً بالغاً مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض. وهذا يقوي قول من قال: إن الأرض كروية الشكل، لأنه لم يأخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه، وإنما أخذ في طريق آخر...

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ ثم أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد منصرفه عن المشرق، أنه سلك طريقاً إلى أن بلغ بين السدين، ووصل إلى ما

بينهما، وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما، وهو الحاجز بين يأجوج ومأجوج، ومن وراءهم، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وقيل: أراد بالسدين الموضع الذي فيه السدان اليوم، لأنه لو كان هناك سد، لم يكن لطلبهم السد معنى.

والسد: الموضع المسدود، لا المنفتح ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: خصوا بلغة كادوا لا يعرفون غيرها. قال ابن عباس: كادوا لا يفقهون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم. وإنما قال ﴿لَا يَكَادُونَ﴾ لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم، وإن كان بعد شدة، ولذلك حكى الله عنهم أنهم ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ويجوز أن يكون الله سبحانه فهّم ذا القرنين لسانهم، كما فهّم سليمان عليه السلام منطق الطير أو قالوا له بترجمان: إن يأجوج ومأجوج مفسدون في أرضهم، وفسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم، ويأكلون لحومهم ودوابهم. وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع، فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، عن الكلبي. وقيل: أرادوا أنهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم. وورد في الخبر عن حذيفة قال: «سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كل قد حمل السلاح. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز. قلت: يا رسول الله وما الأرز؟ قال: شجر بالشام، طوال. وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء، وهؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل، ولا حديد. وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه، ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل، ولا وحش، ولا جمل، ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان. يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية.

قال وهب، ومقاتل: إنهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك. وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد، فبقيت خارجه. وقال قتادة: إن ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة دون السد، منهم الترك.

وقال كعب: هم نادرة في ولد بني آدم، وذلك أن آدم عليه السلام احتلم ذات يوم، وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج، فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم. وهذا بعيد. وقوله ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أو خراجاً معناه: فهل نجعل لك بعضاً من أموالنا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ أي: حائطاً. وقيل في الفرق بين الخرج والخراج: إن الخراج إسم لما يخرج من الأرض. والخرج: اسم لما يخرج من المال. وقيل: الخراج ما يؤخذ عن الرقاب، قاله أبو عمرو. وقيل: الخراج: ما يؤخذ في كل سنة. والخراج: ما يؤخذ دفعة عن تغلب.

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: أعطاني ربي من المال، ومكني فيه من الإتساع في الدنيا، خير مما عرضتموه علي من الأجر ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: برجال، فيكون معناه: بقوة الأبدان وقيل: بعمل تعملونه معي، عن الزجاج. وقيل: بآلة العمل وذلك زبر الحديد، والصفر ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي سداً وحاجزاً. قال ابن عباس: الردم أشد الحجاب. وقيل: هو السد المتراكب بعضه على بعض ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي: أعطوني قطع الحديد، أو جيئوا بقطع الحديد على القراءة الأخرى. وفي الكلام حذف، وهو أنهم أتوه بما طلبه منهم من زبر الحديد، ليعمل الردم في وجوه يأجوج يأجوج ومأجوج، فبناه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي: سوى بين جانبي الجبل، بما جعل بينهما من الزبر. قال الأزهري: يُقال لجانبي الجبل صدفان، لتصادفهما أي: تحاذيهما

وتلاقيهما. وقيل: هما جبلان كل واحد منهما منعدل عن الآخر، كأنه قد صدف عنه. وقوله ﴿قَالَ ٱنفُخُوٓاْ﴾ معناه: قال ذو القرنين انفخوا النار على الزبر. أمرهم أن يؤتى بمنافخ الحدادين، فينفخوا في نار الحديد التي أوقدت فيه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ أي: حتى إذا جعل الحديد كالنار في منظره من الحمي، واللهب، فصار قطعة واحدة، لزم بعضه بعضاً.

﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: أعطوني نحاساً مذاباً، أو صفراً مذاباً، أو حديداً مذاباً، أصبه على السد بين الجبلين، حتى ينسد الثقب الذي فيه، ويصير جداراً مصمتاً. فكانت حجارته الحديد، وطينه النحاس الذائب، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. قال قتادة: فهو كالبرد المحبر: طريقة سوداء، وطريقة حمراء.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ معناه: فلم تمّ لم يستطع يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويصعدوه. يقال: ظهرت السطح: إذا علوته ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ أي: ولم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله، لكثافته وصلابته. ونفى بذلك كل عيب يكون في السد.

وقيل: إن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك، يلي مؤخرهما البحر المحيط. وقيل: إنه وراء دربند، وخزر من ناحية أرمينية وأذربيجان. وقيل: إن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع، وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً.

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي: هذا السد نعمة من الله لعباده، أنعم بها عليهم في دفع شر يأجوج ومأجوج عنهم.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني: إذا جاء وقت أشراط الساعة، ووقت خروجهم

الذي قدره الله تعالى ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أي: جعل السد أرضاً مستوياً مع الأرض مدكوكاً، أو ذا دك، وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال، عن ابن مسعود.

وجاء في الحديث: إنهم يدأبون في حفره نهارهم، حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس، قالوا: نرجع غداً ونفتحه، ولا يستثنون فيعودون من الغد، وقد استوى كما كان، حتى إذا جاء وعد الله، قالوا: غداً نفتح ونخرج إن شاء الله. فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه بالأمس، فيخرقونه ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس في حصونهم منهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم، فيدخل في آذانهم فيهلكون بها. فقال النبي ﷺ: والذي نفس محمد بيده! إن دواب الأرض لتسمن وتسكر من لحومهم سكراً. وفي تفسير الكلبي: إن الخضر واليسع، يجتمعان كل ليلة على ذلك السد، يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي: وكان ما وعد الله بأن يفعله لا بد من كونه، فإنه حق، إذ لا يجوز أن يخلف وعده.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي: وتركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد، يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم، ويكون حالهم كحال الماء يتموج باضطراب أمواجه.

وقيل: إنه أراد سائر الخلق من الجن والإنس، أي: وتركناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج، يختلطون بعضهم ببعض، لأن ذلك علم للساعة. ثم ذكر سبحانه نفخ الصور فقال ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة.

واختلف في الصور، فقيل: هو قرن ينفخ فيه، عن ابن عباس، وابن

عمر، وقيل: هو جمع صورة، فإن الله سبحانه يصوّر الخلق في القبور، كما صورهم في أرحام الأمهات، ثم ينفخ فيهم الأرواح، كما نفخ وهم في أرحام أمهاتهم، عن الحسن وأبي عبيدة. وقيل: إنه ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات، فالنفخة الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق التي يصعق من في السماوات والأرض بها فيموتون، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، فيحشر الناس بها من قبورهم.

﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ أي: حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحدٍ.

هذا في سورة الكهف وفي سورة الأنبياء قال قدس سره في تفسير الآية ٩٦ والآية ٩٧:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي: فتحت جهتهم. والمعنى: انفرج سد يأجوج ومأجوج بسقوط أو هدم أو كسر، وذلك من أشراط الساعة.

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ أي: وهم يريد يأجوج ومأجوج من كل نشز من الأرض يسرعون، عن قتادة وابن مسعود والجبائي وأبي سلم يعني أنهم يتفرقون في الأرض، فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين. وقيل: إن قوله هم كناية عن الخلق، يخرجون من قبورهم إلى الحشر، عن مجاهد. وكان يقرأ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعني القبر. ويدل عليه قوله ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ إلى ربهم ينسلون.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ أي الموعود الصدق ومعناه: اقترب قيام الساعة ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ معناه: فإذا القصة أن أبصار الذين كفروا تشخص في ذلك اليوم أي: لا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله، ينظرون إلى تلك الأهوال عن الكلبي. (مجمع البيان، مجلد ٤، ج١٧، ص١١٤ ـ ١١٥).

تفسير الميزان
(ج١٣، ص٣٧٨، ٣٨١)
كلام حول قصة ذي القرنين

«وهو بحث قرآني وتاريخي في فصول:

١ ــ قصة ذي القرنين في القرآن:

لم يتعرض لاسمه ولا لتاريخ زمان ولادته وحياته ولا لنسبه وسائر مشخصاته على ما هو دأبه في ذكر قصص الماضين بل اكتفى على ذكر ثلاث رحلات منه فرحلة أولى إلى المغرب حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة (أو حاميه) ووجد عندها قوما، ورحلة ثانية إلى المشرق حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم يجعل الله لهم من دونها ستراً، ورحلة ثالثة حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض وعرضوا عليه أن يجعلوا له خرجاً على أن يجعل بين القوم وبين يأجوج ومأجوج سداً فأجابهم إلى بناء السّد ووعدهم أن يبني لهم فوق ما يأملون وأبى أن يقبل خرجهم وإنما طلب منهم أن يعينوه بقوّة وقد أشير منها في القصة إلى الرجال وزبر الحديد والمنافخ والقطر.

والخصوصيات والجهات الجوهريّة التي تستفاد من القصة هي أولاً أنّ صاحب القصة كان يسمى قبل نزول قصّته في القرآن بل حتى في زمان حياته بذي القرنين كما يظهر في سياق القصة من قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾.

وثانياً: أنّه كان مؤمناً بالله واليوم الآخر ومتديناً بدين الحق كما يظهر من قوله: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ وقوله: ﴿...أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الخ ويزيد في كرامته الدينية أن قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ يدل على تأييده بوحي أو إلهام أو نبي من أنبياء الله كان عنده يسدده بتبليغ الوحي.

وثالثاً: أنه كان ممن جمع الله خير الدينا والآخرة، أما خير الدنيا فالملك العظيم الذي يبلغ به مغرب الشمس ومطلعها قلم يقم له شيء وقد ذلت له الأسباب، وأما خير الآخرة فبسط العدل وإقامة الحق والصفح والعفو والرفق وكرامة النفس وبث الخير ودفع الشر، وهذا كله مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ مضافاً إلى ما يستفاد من سياق القصة من سيطرته الجسمانية والروحانية.

رابعاً: أنه صادف قوماً ظالمين بالمغرب فعذبهم.

وخامساً: أن الردم الذي بناه هو في غير مغرب الشمس ومطلعها فإنه بعدما بلغ مطلع الشمس اتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السَّدين، ومن مشخصات ردمه مضافاً إلى كونه واقعاً في غير المغرب والمشرق أنه واقع بين جبلين كالحائطين، وأنه ساوى بين صدفيهما وأنه استعمل في بنائه زبر الحديد والقطر، ولا محالة هو في مضيق هو الرابط بين ناحيتين من نواحي الأرض المسكونة.

٢ ــ ذكرى ذي القرنين والسد وياجوج وماجوج

في أخبار الماضين، لم يذكر القدماء من المؤرخين في أخبارهم ملكاً يسمي في عهده بذي القرنين أو ما يؤدي معناه من غير اللفظ العربي ولا يأجوج ومأجوج بهذين اللفظين ولا سداً ينسب إليه باسمه نعم ينسب إلى بعض ملوك حمير من اليمنيين أشعار في المباهاة يذكر فيها ذا القرنين وأنه من أسلاف التبّابعة، وفيها ذكر سيره إلى المغرب والمشرق وسد يأجوج ومأجوج وسيوافيك نبذة منها في بعض الفصول الآتية.

وورد ذكر «مأجوج» و«جوج ومأجوج» في مواضع من كتب العهد العتيق ففي [الإصحاح] العاشر من صفر التكوين من التوراة.

«وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان. بنو يافث جومر ومأجوج وماداي وباوان ونوبال وماشك ونبراس».

وفي كتاب حزقيال الإصحاح الثامن والثلاثون «وكان إلى كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج الأرض مأجوج رئيس روش ماشك ونوبال، وتنبأ عليه وقل: هكذا قال السيد الرب: ها أنا ذا عليك يأجوج رئيس روش وماشك ونوبال وأرجعك وأضع شكائم في فيك وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً كلّهم لابسين أفخر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان كلهم ممسكين السيوف. فارس وكوش وفوط معهم كلهم بمجن وخودة، وجومر وكل جيوشه وبيت نوجرمه من أقاصي الشمال مع كل جيشه شعوباً كثيرين معك».

قال: «لذلك تنبأ يا ابن آدم وقل لجوج: هكذا قال السّيّد الرّبّ في ذلك اليوم عند سكنى شعب إسرائيل آمنين أفلا تعلم وتأتي من موضعك من أقاصي الشمال».

وقال في الإصحاح التاسع والثلاثين ماضياً في الحديث السابق: وأنت يا ابن آدم تنبأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب ها أنا ذا عليك ياجوج رئيس روش ماشك ونوبال وأردك وأقودك وأُصعدك من أقاصي الشمال. وآتي بك على جبال إسرائيل وأضرب قوسك من يدك اليسرى واسقط سهامك من يدك اليمنى فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك أبذلك مأكلا للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحفل، على وجه الحفل تسقط لأني تكلمت بقول السيد الرب، وأرسل ناراً على مأجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون أني أنا الرب».

وفي رؤيا يوحنا في الإصحاح العشرين: «ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان، وقيده ألف سنة، وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكيلا يضلّ الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة، وبعد ذلك لا بدّ أن يحلّ زماناً يسيراً.

قال: «ثم متى تمت الألف سنة لن يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج ومأجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر فصعدوا على عرض الأرض، وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم وإبليس الذي كان يضلّهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبيّ الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الأبدين».

ويستفاد منها أن «مأجوج» أو «جوج ومأجوج» أُمّة أو أُمم عظيمة كانت قاطنة في أقاصي شمال آسيا من معمورة الأرض يومئذ، وأنهم كانوا أُمماً حربية معروفة بالمغازي والغارات. ويقرب حينئذ أن يحدس أن ذا القرنين هذا هو أحد الملوك العظام الذين سدّوا الطّريق على هذه الأُمم المفسدة في

الأرض، وأنّ السّدّ المنسوب إليه يجب أن يكون فاصلاً بين منطقة شمالية من قارة آسيا وجنوبها كحائط الصّين أو سد باب الأبواب أو سدّ «داريال» أو غير هذه.

وقد تسالمت تواريخ الأُمم اليوم من أن ناحية الشمال الشرقي من آسيا وهي الأحداب والمرتفعات في شمال الصّين كانت موطناً لأمة كبيرة بدوية همجية لم تزل تزداد عدداً وتكثر سواداً فتكر على الأُمم المجاورة لها كالصّين وربما نسلت من أحدابها وهبطت إلى بلاد آسيا الوسطى والدنيا وبلغت إلى شمال أوربه فمنهم من قطن في أرض أغار عليها كأغلب سكنة أوربه الشمالية فتمدين بها واشتغل بالزراعة والصناعة، ومنهم من رجع ثم عاد وعاد.

وهذا أيضاً مما يؤدي ما استقربناه آنفاً أنّ السّد الذي نبحث عنه هو أحد الأسداد الموجودة في شمال آسيا الفاصلة بين الشمال وجنوبه...».

أهم المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ قصص الأنبياء للجزائري «قده».

٣ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

٤ ـ الميزان في تفسير القرآن.

٥ ـ في ظلال القرآن.

٦ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن.

٧ ـ التفسير الكاشف.

٨ ـ مهج الدعوات.

٩ ـ ميزان الحكمة.

١٠ ـ موسوعة المهدي «عج» للسيد محمد صادق الصدر «قده».

١١ ـ الطور المهدوي لـ عالم سبيط النيلي.

١٢ ـ النظام القرآني.

١٣ ـ المصباح المنير.

١٤ ـ مفردات القرآن الكريم.

١٥ ـ كتاب العين.

بالإضافة إلى مجلات وصحف، ومقالات وغير ذلك.

الفهرس

إهداء ٧

المقدمة ٩

مدخل ١١

يأجوج ومأجوج في اللغة ١٣

يأجوج ومأجوج في الكتب القديمة ١٨

الآيات الواردة بشأن يأجوج ومأجوج ٢١

تفسير مفردات الآيات الواردة ٢٣

التفسير الإجمالي للآيات القرآنية ٢٥

التفسير التفصيلي للآيات القرآنية ٢٧

الرحلات الثلاث لذي القرنين عليه السلام ٤٨

أسباب نزول الآيات الواردة بشأن ذي القرنين عليه السلام ٤٩

ذو القرنين وسماته في القرآن ٥٢

ذو القرنين عليه السلام من هو؟؟ ٥٤

يأجوج ومأجوج من هم؟؟ ٦٩
النظريات الواردة بشأن يأجوج ومأجوج ٧٢
١ ـ النظرية الأولى ٧٣
٢ ـ النظرية الثانية ٧٨
٣ ـ النظرية الثالثة ٨١
٤ ـ النظرية الرابعة ١٠٠
هل خرجوا أم لا؟؟ ١٢٣
متى يخرجون؟؟ ١٢٧
ما هي أوصاف يأجوج ومأجوج؟؟ ١٣٦
أين هو موقع السد ويأجوج ومأجوج؟؟ ١٣٨
ما هي صفة السد؟؟ ١٤٥
الروايات المتفرقة في يأجوج ومأجوج ١٤٧
ملحوظة مهمة ١٥٣
هل الأخبار الواردة بشأن يأجوج ومأجوج معتبرة؟؟ ١٥٥
الروايات المتفرقة في ذي القرنين عليه السلام ١٥٧
ذو القرنين والخضر عليهما السلام ١٧٤
ذو القرنين وإبراهيم عليهما السلام ١٧٦
الدروس المستفادة من الآيات الواردة في ذي القرنين ويأجوج ومأجوج ١٧٨
ـ ملحق تفسيري ١٨٥

١ ـ التفسير الكاشف ج١٦، ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ..... ١٨٧
٢ ـ في ظلال القرآن ج١٦، ٢٢٨٩ وما بعدها ١٨٩
الأمثل في كتاب الله المنزل مجلد ٩، ٣١٦... ..... ١٩٢
الجديد في تفسير القرآن المجيد (ج٤ ٣٦٣...) ١٩٤
من وحي القرآن (ج١٤ ـ ٣٩٠...) ١٩٥
مجمع البيان (مجلد ٦، ج١٦، ٣٧٩ وما بعدها) ١٩٧
تفسير الميزان (ج١٣، ص٣٧٨، ٣٨١) ٢٠٦
أهم المصادر والمراجع ٢١١